

العـدد ٦ـ 6

حـزيران ١٩٧٩



AL-JADEED אל-ג'דיד

PRICE 15 I.L. מחיר 15 ל״י الثمن ١٥ ل٠ا

★ من الغـــلاف الى الغـــلاف ★

هيئة التحرير
حيف
شارع مار يوحنا ٢٩ (وادي النسـاس)
ص. ب ـ ١٠٤
ت ـ ٦٦٦٦٤٨ (٠٤)

الادارة :
حيفا ـ الحريري ٩
ص. ب ـ ١٠٤
ت ـ ٥١١٢٩٦ـ٧ (٠٤)

طبع في :
مطبعة الاتحاد التعاونية
حيفـا
شارع الوادي ـ ٤٣
ت ـ ٥٢١٤٥٧ (٠٤)

المحرر المسؤول :
المحامي حنا نقارة

« لانها قد راحت الى قرية عربية » .. لوحة يرسمها الطفل فراس بنا من الناصرة اثناء مهرجان الاطفال للرسم بمناسبة سنة الطفل العالمية في الناصرة باشراف الفنان عبد عابدي .

❋ رأى الجديـد ❋

طهارة السلاح

❋ قبل أن ينقطع دوى انفجار العبـوات الناسفة فى الاسـواق المكتظة بالمدنيـين الفلسطينيين فى يافا وحيفا والقدس وغيرهـا ، كان قادة المنظمات الصهيونية قد فرغـوا مـن اطلاق التصريحات المدوية عـن « طهـارة السلاح » ..

وبعد مجزرة دير ياسين ، تحدثوا عـن طهارة السلاح .. وبعد مجزرة كفر قـاسم ، تحدثوا عن طهارة السلاح .. وبعد « قبيـه » و « السموع » تحدثوا عن طهارة السلاح .. وبعد أوامر « لا أسرى ! » فى حروبهم العدوانية المتكررة ، تحدثوا عن طهارة السلاح .. وبعد مجزرة بحر البقر ، أيضا تحدثـوا عن طهارة السلاح .. وبعد يوم الارض ويوم مجد الكروم ويوم معليا ، أيضـا ، تحدثـوا عن طهارة السلاح .. وفى أعقاب غارة جوية على «معاقل» الصفيح والبريزنت فى لبنان يتحدثون عن طهارة السلاح .. كذلك فقد تحدثوا عن طهارة السلاح بعد اغتيال غسان كنفانى وكمال ناصر وكمـال عدوان وعلى سلامة ، الى اخر القائمة الطويلة الطويلة الطويلة ..

وكانت غزوة الليطانى .. وكان السلـب والنهب والقتل واغتيال الاسرى .. ولم يكفوا عن الحديث عن طهارة السلاح .. وكانـت عمليات قصف الجوامع والكنائس والخلـوات والمستشفيات ومواقـع قـوات الطوارىء الدولية .. واستمر بلا انقطاع ، الحديث اياه عن طهارة السلاح ..

وحين أطلقت عصابات الكولونياليين نيرانها على الناس الفلسطينيين فى رام الله وحلحول ، تابع رعاتها ثرثرتهم عن طهارة السلاح ..

وحين أطلق « الحرس المدنى » نيرانـه على شاب فلسطينى يمشى «مطمئنا» على ارضه المحتلة .. استمر أيضـا اللغو عن طهارة السلاح ..

على هذه الخلفية القاتمة نشأت وترعرعت العسكرية الصهيونية وصلب عودها .. وعـلى هذه الخلفية القاتمة ، يتضح الموقف من مسألة الجنرال الاعظم رفائيل ايتان قائد الجيـوش الامبراطورية الاسرائيلية .. تلك المسألة التى أثارت ، ولا تزال تثير ضجيجا ضخما فى أجهزة الاعلام الاسرائيلية ..

كل ما فى الامر ، ان القضاء الاسـرائيلى أصدر حكما مخففا على مجرم حرب عادى ،

(البقية على الغلاف الاخير من الداخل)

● الدكتور اميل توما ●

منظمة الامم المتحدة والمشكلة الفلسطينية

* هذه المذكرة بعث بها اميل توما الى مؤتمر التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني الذي عقد في بازل (سويسرا) في مطلع ايار ١٩٧٩ .. وقد وزعتها رئاسة المؤتمر بوصفها وثيقة من وثائق المؤتمر *

ما بين ١٩٤٧ و ١٩٧٤

تدخلت منظمة الامم المتحدة في القضية الفلسطينية منذ ايار ١٩٤٧ حين عقدت جلسة طارئة للجمعية العمومية ، بطلب من الحكومة البريطانية التي اقامت ادارة انتدابية في فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى .

وكان ان قررت الجمعية العمومية في ٢٩ تشرين ثان ١٩٤٧ ، بتوصية من اللجنة الخاصة التي عينتها الجلسة الطارئة في ايار من العام نفسه (يونسكوب) ، تقسيم فلسطين الى دولتين : عربية واخرى يهودية ، وذلك بعد تصفية الانتداب البريطاني وجلاء القوات العسكرية البريطانية .

وهكذا كانت الامم المتحدة هي التي وضعت الاساس لحل النزاع الفلسطيني واعطت الشرعية الدولية لاقامة اسرائيل التي برزت كدولة في الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ .

وفي ١١ ايار ١٩٤٩ صوتت الجمعية العمومية لادخال اسرائيل في عضوية منظمة الامم المتحدة ، وكررت ، في قرارها بهذا الصدد ، المبادىء التي استرشدت بها في حل النزاع الفلسطيني .

جاء في القرار . نظرا لاعلان اسرائيل عن انها : « تقبل ، دون تحفظ ، باحكام ميثاق الامم المتحدة وتتعهد بمراعاتها ابتداء من اليوم الذي تصبح فيه عضوا في هذه المنظمة الدولية ....

«وبالاشارة الى قرار المنظمة من ٢٩ تشرين ثان ١٩٤٧ و١١ كانون اول ١٩٤٨ واخذة بالاعتبار بيانات وتصريحات ممثلي حكومة اسرائيل امام اللجنة السياسية المختصة فيما يتعلق بتنفيذ القرار المذكور ... تقرر الجمعية العمومية قبول اسرائيل عضوا في منظمة الامم المتحدة » .

وجدير بالذكر انه منذ قبول اسرائيل في عضوية الامم المتحدة غضت المنظمة الدولية الطرف عن الطرف الاساسي **الاخر** لقرارها من ٢٩ تشرين ثان ١٩٤٧ ، أي اقامة الدولة العربية الفلسطينية ، وعلى مدى اكثر من ربع قرن ، راحت تؤكد ، سنة بعد اخرى ، قرارها من ١١ كانون اول ١٩٤٨ (رقم ١٩٤) . وكانت تفعل ذلك بروح قراراتها بشأن اغاثة اللاجئين الفلسطينيين العرب .

ومما جاء في القرار الاصلي رقم ١٩٤ :

« تقرر الجمعية العمومية أن اللاجئين الذين يرغبون في العودة الى بيوتهم والعيش بسلام مع جيرانهم يجب ان يسمح لهم بذلك في اقرب فرصة ممكنة ، وأنه يجب دفع تعويضات عن الاملاك لاولئك الذين لايختارون العودة وكذلك عن الخسائر والاضرار اللاحقة بالممتلكات التي يجب ان تدفعها الحكومات او السلطات المؤولة بموجب القوانين والاعراف الدولية ... »

وخلال السنوات الاولى التي عقبت الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ واقامة اسرائيل بدت الامم المتحدة منهمكة في اجراءات لجنة التوفيق العقيمة التي انتخبت من اجل حل تعقيدات العلاقات الاسرائيلية – العربية ، وليس المشكلة الفلسطينية .

وهكذا فان حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ اللتين شنتهما اسرائيل على الدول العربية اعتبرتا ، فيما اعتبرتا ، نتيجة للنزاع الاسرائيلي – العربي لا المشكلة الفلسطينية .

ولهذا تجاهل قرار مجلس الامن من ٢٢ تشرين ثان ١٩٦٧ (رقم ٢٤٢) المشكلة الفلسطينية وعالج قضية اللاجئين الفلسطينيين . فنص بعد دعوة اسرائيل الى الانسحاب من الاراضي التي احتلتها في الحرب الاخيرة ، على تأكيد مجلس الامن ضرورة « التوصل الى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين » .

وهذا يعني انه بعد مرور نحو عشرين عاما على

قرار الامم المتحدة الداعي لاقامة دولتين مستقلتين في فلسطين : يهودية واخرى عربية . فان مؤسسات المنظمة الدولية ذات النفوذ ، تقبلت قيام اسرائيل من ناحية وتجاهلت وجود الشعب العربي الفلسطيني من ناحية اخرى .

وحتى بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ فان مجلس الامن الدولي لم ياخذ في اعتباره ان حركة التحرر القومي الفلسطينية توحدت حول قيادتها المتمثلة في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، او ان للشعب العربي الفلسطيني حقوقا قومية تتعدى قضية اللاجئين .

ومما يجدر ذكره ان قرار مجلس الامن (رقم ٣٣٨) من ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ الذي دعا الى انهاء حرب اكتوبر ناشد الاطراف المعنية بتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بحذافيره ونص على انه « يجب ان تبدا المفاوضات بين الاطراف المعنية ، حالا بعد الهدنة وايقاف اطلاق النار ، تحت الاشراف المناسب بقصد احلال سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » .

واعتبرت محافل سياسية معينة ، في المنطقة وخارجها ان التعميم الآنف الذكر يمكن ان يكون فاتحة نقاش حول المشكلة الفلسطينية واشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات لحلها .

بيد ان الامم المتحدة حينما عقدت مؤتمر جنيف برئاسة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ــ باعتبار ذلك « الاشراف المناسب » الا انها لم تحدد « الاطراف المعنية » .

وعلاوة على ذلك فان مؤتمر جنيف لم يعقد الا لاضفاء الصفة الرسمية على الاتفاقية المصرية ــ الاسرائيلية على فصل القوات العسكرية في اواخر ١٩٧٣ ثم اجهض بسبب المؤامرة المشتركة بين الامبريالية الامريكية وحكام اسرائيل والنظام الساداتي المصري .

وعلى كل حال تبقى حقيقة ان مؤسسات الامم المتحدة ، وخصوصا مجلس الامن والجمعية العمومية ، شجعت عدوان اسرائيل على جاراتها العربيات كما شجعت ضم القدس العربية المحتلة الى اسرائيل ، وكذلك اعمال المحتلين الاسرائيليين في سبيل تغيير الطابع الديموغرافي والبنيوي للمناطق العربية التي احتلت في حزيران ١٩٦٧ .

وان قرار الجمعية العمومية من ٢٠ كانون اول ١٩٧١ واضح الدلالة والشمولية حيث يقول :

« ان الجمعية العمومية ... تدعو اسرائيل ، بحزم ، الى التخلي فورا عن جميع الاجراءات ؛ والى الامتناع عن ووقف كل عمل او سياسة من مثل :

أ ــ ضم اي قسم من الاراضي العربية المحتلة ؛

ب ــ اقامة مستوطنات اسرائيلية على تلك الاراضي او نقل قسم من سكانها المدنيين الى المناطق المحتلة ؛

ج ــ تدمير وهدم القرى او الاحياء او البيوت ومصادرة واستملاك الاراضي ؛

د ــ اجلاء او نقل او ابعاد او طرد سكان المناطق العربية المحتلة ؛

هـ ــ انكار حق اللاجئين والمشردين في العودة الى بيوتهم ؛

و ــ اساءة معاملة السجناء والمعتقلين او تعذيبهم ؛

ز ــ العقوبات الجماعية ... »

القرار ٣٢٣٦ من ٢٢ تشرين ثان ١٩٧٤

مع حلول عام ١٩٧٤ عرف الرأي العام العالمي ، نتيجة للتطورات في الشرق الاوسط خلال العقد الماضي ان ازمة الشرق الاوسط لم تكن ، ببساطة ، نتيجة الصراع الدولي الاسرائيلي ــ العربي بل ، وفي الاساس ، « ثمرة » المشكلة الفلسطينية . والى حد بعيد فان توطد مركز منظمة التحرير الفلسطينية التي تتمتع بتأييد الشعب العربي الفلسطيني ، ادى الى اعتراف عالمي بكيان الشعب العربي الفلسطيني وبحقوقه القومية وبممثله الشرعي الوحيد ــ منظمة التحرير الفلسطينية .

ومن الواضح ان اعتراف مؤتمري القمة العربيين في الجزائر (١٩٧٤) والرباط (١٩٧٣) بمنظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا للشعب العربي الفلسطيني ساهم في تغيير الموقف في منظمة الامم المتحدة نفسها .

وهكذا ابطلت الدورة التاسعة والعشرون للجمعية العمومية عام ١٩٧٤ سياسة التجاهل التي درجت عليها الامم المتحدة ازاء القضية الفلسطينية ووضعتها على جدول اعمالها بعد غياب دام اكثر من ربع قرن .

ودعت الدورة التاسعة والعشرون منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك ، بصفة مراقب ، في الدورة وفي اعمال الجمعية العمومية وكل المؤتمرات الدولية التي تعقد تحت اشراف الجمعية العمومية .

بيد ان ما فاق باهميته كثيرا نجاح منظمة التحرير الفلسطينية في كسب صفة المراقب في الامم المتحدة كان ان الجمعية العمومية . وخلال الدورة التاسعة والعشرين نفسها ، اجازت قرار (رقم ٣٢٣٦) في ٢٢ تشرين ثاني ١٩٧٤ حدد حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية .

ومما جاء في القرار : (ان الجمعية العمومية ... من منطلق القلق العميق لانه لم يتم التوصل الى حل عادل لمشكلة فلسطين ، واليقين بان مشكلة فلسطين لا تزال تهدد السلام والامن العالميين .

« واعترافا بان للشعب العربي الفلسطيني الحق في تقرير مصيره وفقا لميثاق الامم المتحدة .

« وتعبيرا عن قلقها العميق لان الشعب العربي الفلسطيني منع من التمتع بحقوقه التي لا تتزعزع ولا سيما حقه في تقرير المصير .

١ ــ تؤكد من جديد الحقوق للشعب العربي

الفلسطيني في فلسطين بما في ذلك :
أ) حق تقرير المصير بدون تدخل خارجي .
ب) حق الاستقلال القومي والسيادة . »

ويعود القرار ويؤكد حق اللاجئين في العودة الى بيوتهم ، ومما له اهمية كبرى نصه ان الجمعية العمومية «تعترف ان الشعب الفلسطيني شريك رئيسي في اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » .

ومنذ ١٩٧٤ والجمعية العمومية تؤكد في دوراتها السنوية القرار رقم ٣٢٣٦ وتصر على اشراك منظمة التحرير الفلسطينية في جميع الابحاث حول الشرق الاوسط .

وهكذا قررت الجمعية العمومية في ١٠ تشرين ثاني (رقم ٣٣٧٥) ان « تطلب الى مجلس الامن اتخاذ وتبني القرارات والاجراءات الضرورية من اجل تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه القومية وفقا لقرار الجمعية العمومية رقم ٣٢٣٦ » . وكذلك « دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلة الشعب الفلسطيني ، الى الاشتراك في جميع المساعي والابحاث والمؤتمرات بشأن الشرق الاوسط التي تعقد تحت اشراف الامم المتحدة ، وعلى قدم المساواة مع الاطراف الاخرى وفقا للقرار رقم ٣٢٣٦ .

مؤامرة « كامب ديفيد » والاتفاقية المصرية — الاسرائيلية تعارضان قرارات الامم المتحدة

كان واضحا حالا بعد حزيران ١٩٦٧ ان اسرائيل شنت حربا عدوانية ضد الاقطار العربية المجاورة في ٥ حزيران ١٩٦٧ وخرقت بذلك ميثاق الامم المتحدة .

واسرائيل تعارض في الواقع قرار مجلس الامن ٢٤٢ (٢٢\١١\٦٧) الذي يؤكد « عدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالحرب » ويدعو الى انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة من الاراضي التي احتلت في الحرب الاخيرة . وصرح حكام اسرائيل باستمرار انهم لن ينسحبوا الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ واعربوا بما لا يقبل الشك عن مطامعهم التوسعية في هذه المناطق .

وباستخدام الحكم العسكري تجاهلت السلطات الاسرائيلية بعناد وبشكل منهجي جميع قرارات الامم المتحدة الصادرة عن الجمعية العمومية ومجلس الامن او مؤسسات الامم المتحدة التي طلبت الى اسرائيل :

أ — الا تغيّر وضع القدس وصفاتها الديموغرافية او البنيوية او التاريخية (مثال على ذلك قرار مجلس الامن رقم ٢٩٨ في ٥ ايلول ١٩٧١) .

ب — الامتناع عن ضم اي قسم من المناطق المحتلة او اقامة مستوطنات او هدم القرى او انكار حق اللاجئين في العودة الى بيوتهم او اساءة معاملة السجناء والمعتقلين وتعذيبهم (مثال على ذلك قرار الجمعية العمومية رقم ٢٨٥١ في ٢٠\١٢\٧١) .

وفي الأونة الاخيرة كثفت السلطات الاسرائيلية استيطانها الكولونيالي في المناطق المحتلة واستولت على ٣٠٪ من الضفة الغربية المحتلة وفرضت حكما ارهابيا على المواطنين ولا تزال تسارع من وتيرة تغيير الطبيعة الديموغرافية والبنيوية المناطق المحتلة وخصوصا الضفة الغربية وقطاع غزة وذلك تمهيدا لضمها واقامة اسرائيل الكبرى .

وفي هذه السنة (٧٩ — ١٩٨٠) خصصت حكومة اسرائيل ١٨٥٠ مليون ليرة لغرض توسيع الاستيطان الكولونيالي في المناطق المحتلة وستكون حصة الاسد من نصيب الاستيطان العدواني في الضفة الغربية . ومجرد عقد مؤتمر « كامب ديفيد » في ايلول ١٩٧٨ هو مخالفة صارخة لقرارات الامم المتحدة . فقد التف المؤتمر حول قرارين هامين : اولهما قرار مجلس الامن ٣٣٨ (٢٢\١٠\٧٣) الذي دعا الى بدء المفاوضات بين الاطراف المعنية تحت الاشراف المناسب بقصد احلال سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط . وكانت الامم المتحدة قررت ان مؤتمر جنيف برئاسة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة المشتركة هو مكان هذه المفاوضات تحت الاشراف المناسب . والثاني قرار الجمعية العمومية ٣٣٧٥ (١٠\١١\٧٥) الذي قرر دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلة الشعب الفلسطيني ، الى الاشتراك في جميع المسائل والابحاث والمؤتمرات بشأن الشرق الاوسط على قدم المساواة مع سائر الاطراف .

وبحق وصف مؤتمر القمة الثلاثي هذا بأنه مؤامرة ضد السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط لان ابحاثه السرية دارت بمعزل عن الاتحاد السوفييتي الرئيس الشريك لمسرح المفاوضات المناسب وفي غياب اطراف رئيسية في النزاع العربي الاسرائيلي كسوريا ومنظمة التحرير ناهيك عن الاخرين . اما الاتفاقيات التي تمخض عنها « كامب ديفيد » وادت الى توقيع حكام مصر واسرائيل ، باشراف الولايات المتحدة ، على معاهدة « السلام » المزعومة الثنائية المنفردة ...

فانما تدوس على قرارات الامم المتحدة التي تصر على ان السلام الدائم والعادل يمكن التوصل اليه وتوطيده فقط بانسحاب اسرائيل من المناطق المحتلة واحترامها حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية .

كذلك فان اتفاقية « كامب ديفيد » بصدد الضفة الغربية وقطاع غزة ورسالة بيغن — السادات الى الرئيس الامريكي كارتر والمرفقة بمعاهدة « السلام » الاسرائيلية المصرية تتجاهل بشكل صارخ قرار الجمعية

العمومية ٣٢٣٦ الذي اكد انه لا يمكن بلوغ السلام دون ان يمارس الشعب العربي الفلسطيني حقه في تقرير المصير بدون تدخل خارجي ودون ان يضمن استقلاله الوطني وسيادته .

وتؤكد اتفاقيتا « كامب ديفيد » اتفاق الشركاء الثلاثة كارتر والسادات وبيغن على فرض الحكم الذاتي على سكان الضفة الغربية وقطاع غزة وليس على اراضيهم وعلى تنصيب حكام اسرائيل ومصر (والاردن اذا وافقت) مشرفين على هذا الحكم الذاتي السكاني .

وتجدر الاشارة الى ان الاحتفال بتبادل وثائق المعاهدة المصرية الاسرائيلية في ام خشيبة تأخرت ساعتين لان الترجمة المصرية لم تذكر كما في الرسالة المشتركة ان اهداف المفاوضات اللاحقة سيكون (اقامة الحكم الذاتي للسكان) . ووافق الطرف المصري .

بيد ان مغزى هذا التعريف لم يخف على الشعب الفلسطيني سواء في المناطق المحتلة او خارجها وقد اختار حكام اسرائيل هذه الصيغة لانها تلائم مفاهيمهم عن الحكم الذاتي . وقد صيغت هذه المفاهيم في بادىء الامر في لجنة وزارية ، رئسها مدير مكتب رئيس الوزراء بن اليسار ثم وافقت على فحواها مختلف احزاب الائتلاف الحكومي وهذه المفاهيم تفترض ان الحكم الذاتي سيطبق على سكان الضفة الغربية وقطاع غزة وذلك من اجل استثناء مناطق المستوطنات الكولونيالية وسكانها . وفوق ذلك فان هذه المفاهيم تؤكد ان الادارة العسكرية الاسرائيلية هي مصدر السلطة في مناطق الحكم الذاتي وهي المسؤولة عن الامن الداخلي والخارجي والمشرفة على مصادر المياه وحامية الاستيطان الكونيالي المستمر .

وقد ردد رئيس الحكومة الاسرائيلية بشكل استفزازي ان حكومته لن تتحمل قيام دولة عربية فلسطينية وبذلك فند زعم السادات من ان الحكم الذاتي سيؤدي الى نشوء دولة عربية فلسطينية .

وتؤكد اتفاقية « كامب ديفيد » بصدد الضفة الغربية وقطاع غزة ان « مصر واسرائيل والاردن ستتفق على كيفية اقامة السلطة المنتخبة في الضفة الغربية وغزة » وان هذه الدول الثلاث هي التي ستقرر مستقبل هذه المناطق بشرط « ان تتخذ جميع الاجراءات الضرورية لضمان امن اسرائيل وجاراتها خلال الفترة الانتقالية » ذات السنوات الخمس ولم تقل كلمة واحدة عن تقرير مصير الشعب العربي الفلسطيني وممارسته الحرة .

ويبدو ان اوساطا كثيرة في اسرائيل تتفق على ان المعاهدة الجديدة ، واتفاقيتي « كامب ديفيد » قبلها ، تحرم الشعب العربي الفلسطيني عن سبق تعمد واصرار ، من حقوقه كما اقرتها الامم المتحدة ، وتستثني عمدا منظمة التحرير الفلسطينية لانها تجسد حقوق الشعب العربي الفلسطيني القومية .

ولهذا فان الرأي العام العالمي يرفض الزعم القائل ان هذه المعاهدة خطوة للامام نحو سلام عام شامل في الشرق الاوسط .

وعلاوة على هذا فان قوى السلام التقدمية في اسرائيل تؤكد ان معاهدة السلام المزعومة بين مصر واسرائيل تولد المزيد من التوتر والنزاعات المسلحة يشهد على ذلك العدوان الاسرائيلي المسلح على جنوب لبنان حيث مدت الاوساط الحاكمة الاسرائيلية احتلالها على حزام من الارض العربية على طول الحدود الشمالية وبعمق عشرة كيلومترات داخل الاراضي اللبنانية (يدعونها احيانا محميتهم بامرة العميل سعد حداد) .

وفي الوقت نفسه فانه لسر مفضوح ان الشركاء الثلاثة في مؤامرة « كامب ديفيد » اتفقوا على اقامة حلف عسكري عدواني في المنطقة تحت ستار الدفاع يكون القصد منه اجهاض حركات التحرر القومي وخنق التحرر الاجتماعي والسياسي وحماية المصالح الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية . فقد اصبح هذا اشد الحاحا بالنسبة الثلاثي المتآمر بعد الثورة الايرانية وتصفية حلف المركز . ولا عجب ان الولايات المتحدة خصصت خمس مليارات دولار كمساعدات عسكرية لاسرائيل ومصر .

ولا ريب ان هذا ايضا يخالف ميثاق الامم المتحدة .

ان السلام العادل لا يمكن ان تخدمه اتفاقيات منفردة لا تزيد في طبيعتها وهوية موقعيها عن كونها مؤامرات ضد السلام وحقوق الشعوب القومية .

ان السلام العادل والدائم والشامل في الشرق الاوسط يمكن بلوغه فقط باحترام ميثاق الامم المتحدة وتنفيذ قراراتها التي تؤيد حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني وتؤكد حق الاستقلال القومي والسيادة والسلام الاقليمي لجميع الدول المعنية بما في ذلك اسرائيل .

اما انصار السلام الذين يؤيدون اجراءات الامم المتحدة في سبيل السلام فيدعون الى استئناف مؤتمر جنيف باشراف الامم المتحدة ورئاسة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة المشتركة وباشتراك جميع اطراف النزاع العربي الاسرائيلي بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية التي تملك حق الاشتراك في المؤتمر على قدم المساواة مع سائر الاطراف .

● شكيب جهشان ●

رسالة الى ولدى

١ ـ التهليلة

والدي عـلاء
يـا لثغة الشحرور فى بـلدي
ويـا وعد الضيـاء
بتفتح النـسرين فى عينيك يـا كبـدي
ومن شفتيك ينسـكب الهنـاء

ولدي عـلاء
يـا سحبة الموال فى سمعي ويـا بوح العطور
فى كل صبح يستفيق الصبح فى عينيك رقراقا ويندفق العبير
يـا حبة العينين يـا سندي
لو تحمل الدنيـا على كتف
لحملتهـا فى القلب سبـاقـاً
ورميتهـا كالدمية الحسنـاء فى كفيـك يـا ولدي !!!
ولدي الحبيب !!!
من أجل عينيك الغنـاء ، ووجنتيك الدفء ، لثغتك الطيوب
احببت كل الناس فى الدنيـا ، تعشقت الحيـاة
من اجل عينيك الغنـاء
تتبرعم الازهار فى وطني ويرتعش الإله !!!
ولدي الحبيب !!
يـا نصبة الزيتون ازرعها برمش العين ، اسقيها بدمع العين
يـا نصبة الزيتون
أرعاها بآهاتي ، بكل الحب ، بالجفنين
يـا غرسة العينين ... هل تعد الريـاح ؟!!
تعشق الزيتون فى بلدي غنـاء الشمس دفاقاً وزقزقة الصباح

يـا غرسة العينين ، هل تعد الريـاح
لم يكبر الاطفـال فى بلدي فينكسي الجنـاح
يتسلق العصفور فى الدنيا ضفاف الشمس تواقـا فتنتفض الطيور
وانـا اخـاف عليك يـا ولدي
نمو الريش يـا ولدي ، ووشوشة النـور ؟!!

٢ ـ الغاب والرعب

الغابة الظلماء من حولي ، وقطعان الذئاب
والجالسون على ذرى الاخلاق افاقون ، حشاشون ، انذال كلاب
السادة الجبناء يندعرون من هول الصفير ، ولا صفير
يتلمظون القيء ، يرتعشون حتى العظم ذوبا وانتشاء
يتلمظون القيء ... يا خجل الضمير
يا عروة بن الورد
الوعد والتاريخ ، والازجال
والبيرق المتبدد في الاوحال
يا عروة بن الورد ... يذبحها السؤال ؟ ! !

يا جند جانيكزخان ، يا ارتال آتيلا اللعين
يتمزق التاريخ تحت سنابل الغازين ، تنطفيء العيون !!
يا عار هولاكو ، وينصبغ الفرات
وكتائب الذبان ، ينبطحون ، ينبطحون .. ينبطحون ...!!
فتحت موائد الاسيا د ، ينتثر الفتات ؟!!
والشوك يكبر والنقيق
والغابة السمراء تصبغها الدماء ولا حياء
يا عنتر العبسي ... دع عنك الحلاب ، دع الصرار
فالنائمون على النقيق الساهرون على الدمار ؟!!!
يا عنتر العبسي .. كر فانت حر ، انت حر
والشوك يكبر والنقيق
والسادة الجبناء ينسحبون من خلف الطريق ؟!!

ولدي الحبيب
إني اخاف عليك شوك الغاب ، ذئب الغاب ، مكر الغاب
إني اخاف عليك هولاكو ، واشباه الرجال
إني اخاف عليك قيء القيء اشلاء الفتات
إني اخاف عليك حتى الرعب اوهام الضباب
واذى الكلاب !!!

٣ ـ الصعود الى الشمس

ولدي الحبيب
الخيل تصهل في البطون البكر يا ولدي الحبيب
ويطل وجه الله ، صوت الله في الافق القريب
والصبح والرايات ، والوعد الخصيب
الوعد ، هل الوعد
ويفوح سكب الحب ، دفق الحب ، صوب الوعد

ولدي ، والحان البلابل تستفيق وتستفيق
ورفـاقك الشرفـاء ينطلقون نحو الشمس
فيزرعون في الآفـاق كالحور العتيق
فاحمل بيسراك العطـاء وباليمين الفأس
فقوافل الفرسان صاعدة ، وصاعدة ، ترود الشمس !!!

الاخوة الشرفاء ينغرسون في الابعاد في الابعـاد
في ساحة الثلج المعطر ، في حقول البن ، في الادغال ،
في شدو اعواد الارز في انتصاب السكر
يـا خجلة المتعثر
يـا عروة بن الورد ... يرتاح السؤال
يتشوق الزيتون للرؤيـا .... ويهفو البرتقال !!!

يـا حبـة النارنج يـا ولـدي
تخضوضر الصحراء
وتظل في الساحات خيل الزنج
فارفع لها الرايـات
تخضوضر الصحراء يـا ولدي ، ويعلو الموج ، يعلو الموج
وتدور في الساحات خيل الزنـج
فارفع لهن اليـد
وازرع على هاماتهن ازرع على هاماتهن الورد

ولـدي
وتشتد الزنود السمر ، تخضر العيون السمر ، تحمر الايادي السـمر
ينتفض التراب
وتخلق الموال موالاً وينزرع السحاب
والصخر يزهر ، والاباء السنديـان
يـا نصبة الزيتون
لن يهرم الاطفال في بـلدي ولن يقوى الزمـان !!

(القى الشاعر الاستاذ شكيب جهشان هذه القصيدة في الاحتفال بيوم الطفل العالمي ، في عكـا) .

* محمد نفـاع *



النـــاطـور

قصـة قصـيرة

في سنوات طفولتي المبكرة على ما اظن كانت لي بعض التصورات الغريبة عن الاشياء ، وهاكم مثـلا واحدا : عندما كان يذكر اسم الرب سبحانه في ملكه ، وكثيرا ما يذكر لانه لا يسكن ساكن ولا يتحرك متحرك الا بارادته وهو على كـل شيء قدير يقول للشيء كن فيكون، خلق الجبال والسهول ، يامر فينزل المطر ويامر فترتفع النقطة ويسبح العالم في حر شديد ، هو المتوكل بالرياح والليل والنهار ، وهو الخالق الذي خلق اصغر المخلوقات وارقاها خلقنا نحن وكلنا عبيد له ، ولذلك يوجد في بلدنا اكثر من مئة اسم يبدا بعبد ، اكثر من مئة عبد للإله ، ابدا بعبد الله وعبد السميع وعبد المجيد وعبد الصمد وعبد الخالق وكلهم في حي واحد ، جيران تفتح بيوتهم على بعضها ، عرّج قليلا الى اعلى ، الى نص البلد وهناك يتعرّم عبـد الستار وعبـد المعطي واخوانهما ومشتقاتهما ، اما اليوم فقد تناقص هـذا النوع من الاسماء المركبة المزدوجة، هكذا نحن كل واحد منا اسمه على طاقين . وتحسب انه لسوء في معشر النساء وخلقهن بضم الخاء ، لم يصطف جل شانه عبدة واحدة منهن ، فلهن اسمـاء ممشوقة مفردة تنقف الروح على ذكرها ، وان ازدوج اسم الواحدة منهن تراه يبعد عن الالتصـاق به مثل قطف الزهور ، زاد الخير ، ورد الشام ، ابحش وعمق اكثر تلتقي بريم الفلا ، وقوت القلوب ، وزين الكمال .

اقول كلما كان يذكر اسم الرب جل ذكره وكثيرا ما يذكر كنت اتصوره في طفولتي شيخا طويل القامة كخشب الحور بعيد الشبه ، باسما ضاحكا بطيبة كمن يدغدغ على مرق بطنه او تحت باطه ، يحب الاولاد كثيرا ويهش ويبش في وجوههم ، وللاسف العميـق يرتدي ملابس عتيقة ملطخـة بالبهار ، كنت اتصوره بائع بهارات وامامه اكياس القرفة المطحونة والكمون والفلفل الاسمر ولـه لحية شقراء ضاحكة مبسوطة كمونيـة اللون ... تعالى عما يصفون وجل ان يكون بائع بهارات بشكل خاص او ان تكون ملابسـه عتيقـة مدبلة مليئـة بالبهار كما كنت اتصوره وانا غشيم عن كل هذه الاشيـاء ، ورحت الوم نفسي على هـذه التصورات القظيعة الفارغة الى ان قرات وسمعت ان الباري يظهر في صورة ناسوتية وان احـد اللصوص جاء ليسرق بعيرا من قافلة جمال فوجد الحارس في اول القافلة ، راح اللص الى نهايتهـا فوجد نفس الحارس امامه ، جاءالى الوسط فوجده قدامه ، وان الحارس لم يكن الا الباري سبحانه وتعالى ، فلما سمعت ذلك هدات عن توجيه اللوم الى نفسي ولا ازال هادئا لليوم مع شيءمن التحفظ .

كان الناطور في بلدنا ختيارا مشمعطا طويـلا كالطاروح له لحية عتيقة اكل عليهـا الدهر وشرب ، واكلت هي من الدهر وشربت ، تكاد تهترىء وقد اختنق الشيب في هذا اللون الكاشح ، فظلت كتلل الـذرة الصفراء اليابسة المقحمشة ، ونحن نراه كل يوم ، هو من النوع الذي ان افتقدته يوما لا تذكره ، واذا رايته فلانه لا يمكن غير ذلك يرتدي سترة طوبة واسعة فاتحة كالقمح ، وعمامته اختارت خير الامور الوسط فلا هي بيضاء ناصعة قاصرة من الغسيل ولا هي ملبدة تنقط وسخا . وتظهر عليها بوضوح اثار براز البراغيث حيث تنتقي السابية مكانا بارزا مشرفا نظيفا تقضي حاجتها على بياضه فيظهر برازها واضحا بإباء وشمم اشهر من نار على علم .

ـ الله يكسر دياتك على هالغسيل ، عمياء !!

هكذا يقاطع الرجل زوجته ، امـا هي فلا تحطها واطية ، بل تخنشر وتتخنصر :

ـ غسيل امك اشلب !! تبقى سابية الاواعي !! هذا اثر براغيث فركته ثلاث وجوه في مية قطرونة !!

ـ ومطلعش !!

ـ لا مطلعش ، هذا بطلعش !! يلعن دينك البراغيث .

ـ طيب !!

– طيبين !!

ولكلمة الاخيرة للإمراة .

كانت عمامة الناطور مجعلكة وتجاهد لتتملص من راسه كان احدا اصدر ضدها امرا بذلك . ونحن نجزم ان ملابسه في غاية الشوق ، على احر من الجمر لتندب في لجن الغسيل ، وتندلق عليها خلقينة من الماء الساخن وبروة صابون كاملة وتاكل على جلدها خمسة ازوام من الغسيل .

وللناطور عينان زائغتان ، كمن يفتش عن شيء في هذا العالم ، ولهما اهداب قحف اكثرها وظلت شعيرات تموج على كل حال ، وفي عينيه حول خفيف وحمرة ، ونعجب كيف يرى طريقه في دروب البلد العكسة ذات الحجارة والحفر والشحاليط ، فعلى وحل الطريق كثيرا ما تجد اثار تشحيطة لاحدهم ، شحليطة طويلة ملساء ينهيها صانعها عادة بالوقوع على وجهه « طب » .

وكان الوجهاء اصحاب البيوت ومعاميل القهوة ومعالف الخيل يتسابقون في تسخيره ، كلا ليس تسخيره ، ففي وقت معين من السنة يدور اهالي بيته الذين قلما يعرفهم الناس على كل البلد يجمعون اتعاب الناطور ولا فرق عندهم ما ياخذون ، فالناس يعطون زيت مونة ، وقمحا وصابونا ونقودا ، وهو يعيش كالاخرين ، يعطيه الناس عن طيب خاطر :

– يستاهل – يكرم شيخنا !!

– حلت البركة ، الله يمد في ايامه !!

وانت لا تعرف عملا محددا له ، وقد يكون ابرزه هو النداء على سطحين عاليين مطلين لتسمع كل البلد النداء وله لهجة خاصة في النداء وطريقة مالوفة ، ويبدا عادة – يا سامعين الصوت !!

وفي الحال تبدا القرية بالهدوء ، تقف تلك التي تجرش السميدة على جاروشة الحجر بصوتها الذي يرطن ويدندن برتابة وغلظة ، وتسكت تلك التي ترق العجين بنشاط على المرقة ، وتهدا الامراة التي تضرب **كركار** الغسيل بالمخباط ، وهو يتابع :

– صلوا على النبي !!

الف صلاة ربي على النبي

ولهجته بحسب الحدث ، فان اضاع احدهم منجلا او راس طرش فالنداء اعتيادي ينهيه بترديد : الاي برده يرد امانته ... واذا كان النداء على اجر فتشعر حالا بنبرة الحزن والاهتمام قبل ان يعلن ذلك .

– اسمعوا الناطور !! مناداة اجر مدري مين الميت !!

اما هو فيروح ينتظر بعض الشيء ، لم لا وهو الوحيد الذي ينفرد بالاخبار والمعلومات بعض الوقت ، لينتظر الناس ، هذا افضل سينصت الجميع .

وفي مرة من المرات ، كانت الدنيا راس المغرب ، نادى الناطور ممنوع الشغل بكرة في مظاهرة ، وانكفتت كلمات الناطور وعششت في كل بيت ، كان ذلك لاول مرة وقبل سنوات عديدة ، وتناقل الناس الخبر ، ورددوه طيلة المغرب .

– تخمين من شان الارض !!

– يمكن ، العلم عند الله !!

ونداء الناطور مطاع ، ولم نعرف يومها كيف تتظاهر ، تجمع الناس باب المدرسة ، وهذه اللمة اوحت لهم بالمحوربة ، وكنا ثلاثة اولاد متنورين او نحسب انفسنا كذلك ، حصلنا على علم من تلك الاعلام التي كانوا يرفعونها على اوض المخاتير في العيد ، وركبناه على عودة حطب وكتبنا عليه : تسقط الحكومة !! هكذا دفعة واحدة بلا تقسيط ، ورفعناه امام صف المحوربة فصمت الصف وذهل وهجم علينا الناس وهم يصرخون من قحف راسهم :

– ايعدوه احسن لكم وله !!

واغار بعضهم عليه حانقا ، ونظر الوجهاء اليه نظرات معرفة قديمة ولكن ما باليد حيلة ، ان عمت العامية تروح في الدوكة ، واشرنا نحن الى الكتابة عليه وقرانا . فغفروا لنا وله هذه المرة .

– عليه كتابة !! وراح كل واحد يشرح للاخر ويهز اصبعه في وجهه والاخر يوافق . ونظر الناس الى الكتابة فقط ، ورددوا ذلك موافقة تامة ، قد يكون الناس حسبوا ان رفع هذا العلم الابيض يعني الاستسلام فامقتوه .

ولاول مرة ارى الناطور ينظر بغضب رهيب ، ويحرك عكازه بعصبية وضيق ، وكدت اشمع الخبط واسبب المظاهرة والمتظاهرين وظلت نظراته الغاضبة تلاحقني وانا احاول ان اتودد له واشرح سوء التفاهم .

والناطور كذلك هو الذي يطرق كل باب يدعو الى العرس ، وفي الباب المقفل يضع عودا صغيرا في الثقب ومعنى ذلك العزيمة على الواجب ، وهو الذي يعمم ان احدهم عين راعيا للداشورة فتبدا الحمائر خضراء وسوداء تتهلهل على مكان التجمع حتى يضيق بها لكثرتها وكثر غلبتها ، ومعظمها سبق وان تهشمت افخاذها حيث تلقت نغزات دامية لتجر المحراث ولوح الدراس ، فظلت مؤخرتها متعلقة بالعلامات في معاركها الدموية ، وبعضها كشط جلده بتاثير الحزام والحياصة حتى بان لحمها النيء كالمطاط الاحمر وما ان ترى هذا التجمع الذي يرفع المعنويات حتى تروح الماخوذة تشنك اسنانها الى فوق ، وهي علامة وقحة يمقتها الناس وهي مقدمة لتمارين اقسى واعظل من ذلك بكثير حيث تروح تاتي بالفحشاء والمنكرات بشكل

دكتاتوري اغتصابي عبيط .

كنا نتسابق لنحقق شبح الناطور في الليل ، فنراه يتمايل على السطح ، كبيرا أسود وحيدا كقطعة وافرة من العتم ، وله صوت طيب يغلي غليانا لو قاله احدنا لانبعق وانفتق او اصيب بالفقوبتين معا ، بعدها نتردد في العودة الى بيوتنا ، فالظلام دامس كالكحل ، وعلى شجر الجوز الكبير بوم ينعق بتلقين رتيب ، يود"ه الليل الى الابعاد ليذوب ، فنخاف اكثر من شجرة البطم الملتفة ، ومن النبعة التي يخر ماؤها على الصخرة ، ومن السياج المكون من نبات العوسج الشائك ، واذا حط طائر ليلي قربنا فمن المؤكد انه هو الذي ينقر عيون الموتى ، ونروح نسرد بخوف ، كيف يقوم الميت من القبر على قصب رجليه ، فبينما كان احدهم يمر عن المقبرة في الليل سمع نداء مرعبا من تحت الارض :

ـ افتحوا ... افتحوا ! !

كان الصوت دقيقا رفيعا كالخيط ، فذهب هذا واخبر اهل الميت ، بحلقوا ووقفوا دفعة واحدة ، دبوا الصوت على الجيران ، بحشوا القبر فوجدوا الميت خارجا من التابوت ويجلس عليه مكشرا مبحلقا ميتا بعد فوات الاوان ، همهم الاولاد بهلع متقطع ، كانت الطريق الى البلد تمر قرب المغارة والمقبرة والنبعة وهي اكثر الامكنة وحشة ، ومع ذلك نروح نقطع الطريق بضجة وصخب لانه لا يمكن غير ذلك ، وكل واحد منا يسترق النظر الى كل ما يريب ، الى شجرة تين ملتفة ، الى ارض مزروعة بالقمح ، والى عيني قط سارح تسرج عيناه ، والى صرصار يغني بالذات في هذا الوقت ، ويكون الناطور قد انتقل الى المكان الاخر البعيد ، فلا نسمع من صوته الا دبيبا متقطعا يرجع في الابعاد السحيقة ، كل خلة وكل مغارة ، وكل الاودية معا تردد صوته فيظل هو الوحيد السابح في هذا العالم المرتعش .

لم يغب الناطور عن اية مناسبة في البلد ، تراه يجلس على طرف الديوان بين مجموعة هائلة من الشدادات والاحذية المختلفة ، يده على عصاه ، وكنا ، هو ونحن ، آخر من يجلس على الزاد في الولائم بعد ان تكون قد هشمت وجوهها ، واعدمت قطع اللحم على وجوه الشخاتير في محاكمة ميدانية ، ولم يبق من الكراديش الا العظام المعروقة والمغسلة جيدا باشكال مختلفة ، وبعد ان تكون قد فغرت صحون الكبة وقحط معظمها وسرت في اوصالها برودة ، ورصرصت المرقة في الجاطات واندعكت السفرة ومعكت معكا .

ورجال الدولة كذلك يستخدمون الناطور :

ـ قدامي !! دلني على بيت الكرخنجي سويد !! ـ يقول سعادة المامور . يدلهم على بيوت المخالفين والمغضوب عليهم والضالين ، حيث لم تات الدولة لاي سبب آخر في البلد ، ولا تقول مرة خذ بل هات ، واحيانا كان الناطور يصادف الشخص المطلوب عرضا في الطريق فيساله :

ـ تكون شفت جارك سويد !! مطلوب لسعادة المامور !!

ويتعرم سعادة المامور على ذكر اسمه ويعبس ويغيم كمن يريد أن يمطر ويعتم .

ويلوي سويد شفتيه ويبوزه نافيا بشكل قاطع ، ويلوذ عن البلد حامدا شاكرا بخير لا تنقصه الا مشاهدة سعادة المامور ووجهه النير ، ويبقى سعادة المامور يسير وراء الناطور كتنابل عبد الحميد .

لم يحدث مرة ان نقل الناطور نميمة على لسان احد الوجهاء الى نظائره الاخرين ، مع ان المادة مكدسة ، كل تهمة وكل فرية وكل معيار معقول يلصقه احدهم بالاخرين ، في عرضهم ، واصلهم وفصلهم : ـ

ـ جاعة داشرين ، مهوش محلوب في عيونهم حليب!!

ـ اولاد حرام كل عمرهم مركبة !!

ـ هدول متعب البلد !! لازم نفعل ونترك فيهم بالمشقلب !!

لكن الناطور اشهد بالله يعرف كيف يقلب القبيح مليحا .

هذا الكلام يوهم ان الناطور كالحائط الواطيء كل الناس تنطه ، او ان الدجاجة تاكل عشاؤه ، بالعكس ، فقد قام في شبابه بعمل سباق ، لم يكن على وعينا ، كنا لا نزال جلاعيط في قمع البيضة ، لكن الكل يذكر :

كالعادة عرفت البلد ان الرجل لاقى بنت حلال ، واية بنت ؟! بنت الحسب والنسب .. كان هو حصادا ماهرا بالاجرة ، يجدع السنابل بقوة ورشاقة ، يقفز على الحقل كالعالول ، مثل النمر ، وفي الحال يسح عرقا ، يروح يشربل من وجهه ، وملابسه ترشل عرقا هي الاخرى ، وتكون بقع ذات احجام واشكال مختلفة توشك ان تلتقي كخلجان الماء ، مما جعل فاطمة ابنة معلمه تقوي به بالعافية :

ـ تنفس احسن تنطرح !!

فيهوش اكثر ، ويروح يعمل بجنون ، وينصت الناس الى ضجة العمل ، الى السنابل تقرم قرما ، والى المنجل يلمع ويرن في الهواء ، والى انفاسه اللاهثة ، ورفش رجليه على الحصاد ، وكأنه زوبعة تاتي من البعد . وترتاح فاطمة لرؤيته يهدر في الحقل مرغيا مزبدا كفحل الجمال ، وناولته طاسة ماء بارد فيها غصن بطم شذي ، وظلت تنتظر وهو يكرع الماء كرعا . كان وجهه اسمر كالبلوط ماكنا كعرق الصوان يصلح جسرا يقطع عليه الحبيب عن حق وحقيق .

وكان هو يستحلي فاطمة ، ويمص ريقه على ذكرها ، ومرة « لبث » فاطمة لبان بطم ومضغته حتى

صلح وتلبى واعطته قطعة منه . فراح « ينضغ » فيها ويوشك ان يقع على الارض . يريد ان يسند صدره لان شيئا في داخله يتفعفل كالصوص . وعندمـا لطشته شوكه دردار في يده اخذت يده بيدها :
ـ هات اقلع لك اياها في الملقط .

والملقط معلق في جديلتهـا بالقيطـان الاحمر ، برمت الجديلة على صدرها وراحت تداعب الشوكة وهو يحدق النظر في الشعر الاسود المجدول على جدائل القيطان ، يتلوى الشعر والقيطان في عناق مركب ، كان شعرها ملتفا اسود كالحنش ، واحس ليدها ملمسا مخمليا ، ناعما كريش التركمان . وانفاسها طرية مرهفة كطبوق المديدة . وهو الذي لم يستسلم للحقل الممتد بموسمه المثقل ، ولا للشمس المحرقة في « طقريـة » الظهر . ولا لليـل المتمطي الزاحف المجهول ، يقف خاشعا امام انفاسها الهشة فتكاد توقعه ليتمرغ على الارض .

واليـوم هـا هو يتزوج فـاطمة على سنّة الله ورسوله . والبنت سعيدة « تضحك إلنها لحالها » ، حتى وهي مصمودة ضحكت وبيّن سنها ، وامها تفتي آسفة باكية على ابنتهـا :

حطبكو حور مـا يـلايم حطبنـا
وحطبنا جوز ماكول الجباب .

كم مرة هفت نفـه ان يمسح العرق عن وجهها « بمنتيانه » ، وتمشي يده لتكمش البسمة على وجهها ولا يتركها تفل ، الى ان تحقق له ذلك واكثر بكثير . . .

وكانت هيصة العرس والوليمة . وفي الفسحة امام البيت نصبت المواقد ، وارتفعت فوقها القـدور المغطاة بطبقات من الشحار ، وتصاعد الدخان حزمـا وشقعات ملولبة مفتولة متمايلة ، مخلوطا برائحة اللحم المسلوق ، و « فقعية اللبن » التي تروح تبريق وتدفق دفقات من البخار الشذي الدسم ، والنسـاء اللواتي انهمكن من راس المغرب بتنظيف رؤوس الماعز والقوائم ، وحشو « القوزة » و « القصّ » ورشمهـا بالصنوبر ورحن يتذوقن الطعام .. عرس عن حق وحقيق .

وعندما اوشك الطعـام على النضج ، والنساء يأخذن كبوة ، يكسرن نعاسهن قرب المواقد ، وهواء الفجر يتلاعب باردا ويذرو الرماد والهباب ، ويكسر حزم الدخان والبخار المتلاشي ، والنهار يتحفز ويتفلت ليطلع ، والوطاوط تدور الدورات الاخيرة لتعشش ، وعندما بدات البلد تفيق متثائبة متمطية ، دهم ثلاثة رجال في سحنات بشعة منذرة تنقط وجوههم حقـدا وغضبا ، ونطوا دفعة واحـدة ، كالقطط الشرسة المحاصرة ، قرب المواقد :

ـ خمس ليرات او تكبّ الطبيخ ! !

لم يسال أحد ما معنى هذا الطلب . خمس ليرات عـملي ! !

وتساءل البعض كيف لم تدفع الضريبة لليوم ! ! الكل يدفع ، وهي عادة في البلد ، صحيح ان واحدهم يدفعها بنظرات فارغة غاضبة ترمي اللقمة من الفم . ضريبة الليلة الاولى ! !

او يدلق الطعام على الارض ، تكفأ القدور على ابوابهـا ، والنـاس لا يرمون حتى « قحاميش » الخبز ، لانه « عيش » والكل يدعو ان تحط البركة في العيش والموسم ، في القمح والزيت والخبز ، يلتقطون اللقمة المرمية ، يقبلونها ويرفعونها الى جباههم بخشوع لئلا تطير البركة من هذا الخير ، واليوم يأتي هؤلاء للقيام بهذا الكفر . وهو من عمل المرتدين اتباع جهنم والنار ، ولكن الناطور : العريس يومها ، لم يفكر بمثل هـذه التفاصيل والحيثيات كما يبدو ، وفي الحال نسي وقاره ومركزه ، وسرح بنظره لرمشة عين ، كمن يتخيل فاطمة تقف الى جانبه ، تنظر في عينيه متسائلة ، وهي اليـوم مصمودة ، وقد يكون اللثام تزحزح عن فمها لتطل منه بسمة ، وقد تكون « الشبينة » شحطت بالمبل مشحة كحل على جفونها ، تطوق عينيها الواسعتين ، وخضبت يديهـا بالحناء ، وعلى صدرهـا يردح « المخايش » والصنوبرية والكردان ، على قنبـاز المخمل المعرّق المشجّر بدروب وتعاريـج ملونة كسارب الدروب الوعرية الى عيون الماء والنبع .

وفجاة شمّر قنباز العرس وشكل اذياله في زناره، ولف الحطة لفة جهّالية كما يجب ، ومردح قضيب الخرز الملون المهيا لطوقة العريس ، والذي يحمـل في طرفه ضمة من الورد الجوري المفرفح النّدي ، واوراق العطر والكباد والروائد ، واستبدله بشادوح غشيم من كديس الحطب . كان وهو يهوي على الرجال الثلاثـة مهيوبا مثله كعريس ، وحصّاد ؛ وزغردت النساء ، حتى انه انتبه الى لسان واحدة منهن يهتز في فمهـا مثل « الفرنانة » ، وظل يفرن في زغرودة طويلة منادية ، والنار تهبهب في المواقد والهبّال يتصاعـد ويتلاشى ، واهل البلد راضون وهم يرون دخان الفرح يشبّب من الدار العامرة .

مسبحة وانفرطت ، فمن يومها محت البلد من سمتها ، من حياتها ضريبة الليلة الاولى .

صحيح ان سحنة الناطور وقوامه اليوم لا يوحيان بهذه الحادثة ولا الى تلك الايام ، وهو نفسه كمن لا يمت بصلة الى ما حدث .

واليوم تعايش البلد صوت الناطور يدب فيـه التعب والهرم واليباس ، كما يقلع موسم الحر والشوب اعشاب الربيع ، في وخطـات ومشحات من الصفرة والجفاف تكبر وتتسـع كل يوم ، حتى يقرقز العشب

وتطحنه على كفك ، صار فى صوته جرش وغلظة ورجة مترنحة تكاد توقفه .

وفى هذا اليوم بالذات ، اليوم الاعتيادي كبقية ايام العمر ، والناس ينامون بعمق ، بكل ما اوتوا من قوة ، بعد نهارات التعب والشقاء ، بعد ان تركوا لهائهم وعرقهم يسبح فى الحقل ، ينطره من التسيب والبوار ، ولا يبقى ساهرا فى الليـــل الا الهوام ، وخشخشة الحشائش اليابسة ونفخات متقطعة من الريح ، وبكاء طفل قلق جائع موجوع لم يعجبه هذا السواد الذي يلف البيت ويغيّب وجه امه فى غلالة معتمة كدرة . وقبل ان يبلج الصبح وتلمع فيه المناجل كومض البرق ، كهشات واسهم من اشعة الشمس ، تعبا الخبر فى البلد والتصق بها كقضبان اللجين الذي ينعبا فى الشجيرة ويظل يشد عليها حتى يصبح جزء منها ، ويفرض عليهـا خواصه وصفاته ، انتقل الخبر مع هبّـات الريح ، وطلوع النهار ، وحبـوا الضباب الساقط نتفا ومزقـا على مواقع الحقول والذي يحشر نفسه منسابا متهاديا مدغدغا بين الغصون والوهاد .. مات الناطور ! !

وهو راقد واجم كمن يستمع وينصت الى الاعلان عن موته ، وكان العمر كافيا ليعيش صوته ، ويتدافع بترجيع متواصل فى البيوت والحقول والشجر ، ويظل النداء ناطورا على البلد هو يطل عليها من مكان مشرف وهي تنصت لما يقول .

محمد نفـاع

صدر حديثا عن البرنامج الفصلي صلاح الدين (٢) :

* **النمور فى اليوم العاشر** — قصص زكريا تامر
* **الحرب فى بر مصر** — روايـــة يوسف القعيد
* **امراة عند نقطة الصفر** — روايـة د. نوال السعداوي
* **الأم** — مسرحية برتولد بريخت

وخارج عن البرنامج يصدر قريبا :

* **الجبهة الوطنية** — باقر ابراهيم
* **البقعة الداكنة** — قصص اسماعيل فهد اسماعيل

* سليمـان دغش *

الـــى شقـــراء

(١)



أهجرى المرآة ، مرآتك عينى
ودعى المشط ، فان المشـط جفنى
شعرك الاشقر سمفونية
من أحاسيس وأوهام وظن
فاتركيه مثل شـلال على
تلتى نور وفـيروز يغنـى
اقلعى الشال لكـم يؤلمنـى
أن ارى الشمس على قضبـان سجـن
شعرك الاشقر هذا بيدرى
فاتركينى احضن القمح وأجنى
وتعالى فاذا كنت معى
اهدم الدنيا اذا شئت وابنى

(٢)

أغرق الدمع جفونى
عندما مدت ذراعـا
ذرذرت بعض دموع
فى فؤاد يتداعى
أسبلت جفنين ، تخفى
تحت جفنيها الصراعـا
قلت شقراء ارحمينى
فأجابتنى .. وداعـــا !

سليمان دغش
المغار

أنطوان شلحت

سياحة ثقافية

ثورة مسرح ابسن الفكرية والاجتماعية

كرم العالم ، قبل فترة وجيزة ، المسرحي العالمي **هنريك إبسن** (١٨٢٨ - ١٩٠٦) وذلك بمناسبة الاحتفالات التي تعد له بعد سنتين عندما يمر على وفاته ٧٥ عاما .

وفي هذا المجال شهدت الصحف المسرحية في العالم دراسات ومقالات عديدة عن هذا المسرحي .

ويرجع هذا التقدير لإبسن الى كونه قد رسم صورة عصره بصدق وامانة ووفاء ، من غير رتوش او مبالغة ... وبرسمه تلك الصورة الحية ، تمكن هذا الكاتب النرويجي الجنسية ان يجمع - في نفسه - بين الفنان الموهوب وبين الرسالة الاجتماعية كناقد ، وهذه ميزة درامية جعلته احد عمالقة الدراما الافذاذ .

الفن ، لدى إبسن ، لا ينحط مستواه او يقل شأنه اذا ما اندغم في النثر المتمثل في الحوار المسرحي الاعتيادي او في مختلف فنون الاداء المسرحي . وهو في ذلك المسعى قد تمكن من ان يستخدم لغة الشعب استخداما فنيا جيدا بسهولة وإمتاع . وكان بذلك من اوائل الذين فتحوا الابواب على مصاريعها امام **المسرح الشعبي** في اواخر القرن التاسع عشر والذي عرف فيما بعد **بالمسرح الطبيعي** ، وسميت مدرسته على - الطريقة الاكاديمية - **المدرسة الطبيعية** التي انبثقت اول من انبثقت على يد **اميل زولا** في فرنسا . ويرى الناقد المسرحي العراقي **يوسف عبد ثروت** ، رغم اعتقاده ان «التعريفات» منحدرات مخطرة في شرح التيارات الادبية والفنية ، يرى ان « الطبيعية ترى الاشياء رؤية العين المجردة ، تنقل هذه الرؤية باخلاص العالم والفنان ، اذا تيسر ذلك ، الى الصعيدين القصصي والمسرحي ، وبخاصة الى الصعيد المسرحي ، لقدرة الكاتب على تكثيف هذه الرؤية بحكم ظروف الادب المسرحي الخاصة التي تتحكم في نتاج الكاتب تحكما يختلف كل الاختلاف عن ظروف العمل الروائي .

والقول برؤية الاشياء ، واعني بتلك الاشياء كل ما له صلة بالحياة على اوسع نطاق ممكن ، لايعني مطلقا التصوير الفوتوغرافي المعهود ، وهو النقص الذي تخيله نقاد المدرسة الطبيعية فجعلوا منه منفذا لسهامهم الطائشة .

وفضلا عن التصوير النظري ، فان **الطبيعية** تهتم ابلغ الاهتمام بدراسة عامة البشر وعرض شروط حياتهم والجو الذي يحيط بهذه الشروط والمناخ النفسي الذي يتأتى من صلاتهم الاجتماعية » .

● لا يصبح التطور الاجتماعي حقيقيا وفعالا الا اذا صاحبه تطور في الافكار والقيم والتقاليد . اذ ماذا تجدي الثورة الاجتماعية طالما ظل المجتمع يعيش في إسار الافكار القديمة وطالما ظل اخلاصه لمثل واخلاقيات ما قبل التطور باقيا . لا بد للمجتمع اذن من ثورة فكرية تحرره من ربقة الماضي اذا اراد ان يساير التقدم - هذه هي فلسفة **إبسن** التي تطالعنا في كل مسرحياته والاجتماعية منها بشكل خاص .

كان ابسن ثائرا اجتماعيا ، دفعه الى الثورة حبه لوطنه وللانسانية . فقد وجد مواطنيه يتشبثون بقيم بالية ، ثم انه كان يعيش في مجتمع تسيطر عليه اقلية من اصحاب السفن الاثرياء ، وهاله الفرق بين غنى هذه الاقلية وفقر الاغلبية . ولانه كان مثاليا ، يؤمن اشد الايمان بواجب الفرد نحو المجتمع وواجب المجتمع نحو الفرد ، وهو واجب لا يمكن تأديته الا على اساس من الاخلاقيات التي يضعها إبسن في

مستوى الدين . فلقد كان شديد السخط على مجتمعه الذي لم لم يستطع ان يرتفع الى المستوى الذي كان يريده له . وكان غضب إبسن بمثابة الوقود والدافع له على الكتابة .

يقول الكاتب النرويجي **كوهت** . في كتابه عن حياة ابسن ((**اني ارى صورة لشعبنا في هذا الرجل الصامت ، الذي يتامل الامور ويديرها في عقله ، والذي يغضب ويشتد غضبه حينما يرى الفساد حوله فينفجر ثائرا**)) .

كانت اول مسرحية كتبها إبسن مسرحية ((**كاتيلين**)) وهي شعرية تدور حول الثائر الروماني **كاتيلين** الذي تحدى **شيشرون** .

وبعد هذه المسرحية كتب الشعر السياسي والمقالات التي عبر فيها عن ارائه وعمل محررا في صحيفة **اتحاد الطلبة** وكون في تلك الاثناء علاقة وثيقة مع **اتحاد العمال** .

وكان اهم ما يشغله في تلك الفترة هو بناء **القومية النرويجية** ، اذ كان يعرف ان استقلال النرويج لن يكتمل الا بهذه القومية ، ويظهر تحمسه للروح القومية في كل كتاباته . وحين تولى ادارة مسرح ((**برجن**)) ثم مسرح ((**كريستيان**)) النرويجي وضع برنامجا للمسرح هدفه الاول اعلاء الروح القومية .

ولم يقابل مسعى إبسن بالترحيب اذ لم يكن للآخرين تحمس ابسن للروح القومية ، ذلك ان الفن المسرحي كان مصبوغا بالصبغة **الدانيمركية** كما كان معظم الممثلين من **الدانيمركيين** الذين ابوا ان يستعملوا اللغة النرويجية التي يريد إبسن احياءها .

وحتى تلك الفترة لم يكن إبسن قد تخلى عن مسحته **الرومانسية** التي جعلته يتجه الى طرق المشاكل **الميتافيزيقية** في مسرحه ، فنراه يعيد النظر في مسلكه ويتجه الى المجتمع يناقش مشاكله . ويكتب في اطار ذلك مسرحية ((**اعمدة المجتمع**)) (١٨٧٧) وكانه ينفخ في البوق كي يستيقظ مواطنوه ليروا الفساد الذي يعيشون فيه . وتدور هذه المسرحية حول مجتمع يخدع نفسه اذ يتشبث بقيم وتقاليد تسجنه وتعميه عن الحقيقة .

وصب إبسن في هذه المسرحية جام غضبه على حفنة الراسماليين الذين يضحون بارواح الناس في سبيل تكوين الثروات . فلقد كان يعيش في مدينة ساحلية يقوم الاغنياء فيها ببناء السفن وكثيرا ما كانوا يغرقون سفنهم بمن عليها للحصول على اموال التامين !

في عام ١٨٧٩ كتب إبسن مسرحيته ((**بيت دمية**)) فكان ظهورها ، ولا سيما بعد ترجمتها الى اللغة **الانجليزية** وظهورها على مسارح **لندن** سنة ١٨٨١ ، حدثا مدويا في العالم الغربي . ثم لم تلبث ان اصبحت ، كما يذهب الى ذلك بعض النقاد ، ظاهرة اجتماعية تقدمية .

وكان لهذه المسرحية هذا الشان لانها كانت صرخة في اذن كل امراة وهتافا بنساء العالم ان يتداركن ذواتهن وينقذن حرياتهن ((وان يشفين على تعسف الرجال وطغيانهم وانانيتهم)) !.. والا تكون المراة في جانب الرجل دمية ولعبة لا قيمة لها ولا راي ولا مشاركة في دنيا جده واعماله .

والحق ان حال المراة في اوروبا كلها ، في الوقت الذي ظهرت فيه ((**بيت دمية**)) كانت حالا بائسة . .

وحسبك ان تعلم ان هذه المسرحية حينما كانت تظهر في اي بلد اوروبي . . او في امريكا نفسها التي كانت تعتبر نفسها ((**معقل الدمقراطية**)) في ذلك الوقت كانت — كما يقول **برتون راسكو** ((تصدم آلاف الاذهان بفكرتها الجديدة الغريبة . . تلك الفكرة التي يجرؤ صاحبها على القول بان للنساء نفوسا وعقولا مستقلة بذاتها . . وان النساء لسن ادنى مرتبة بطبيعتهن من الرجال)) .

وعلى هذا الضوء احدثت ((**بيت دمية**)) رجة ذهنية في الغرب . . . لقد نبهت المراة الاوروبية الى حقوقها الاستقلالية واشعرتها بكرامتها وعلمتها انها شريكة لزوجها وللرجل ابا كان وان ليس لزوجها ان يستبد بها او ان يطغى عليها .

وقد تمازجت دعوة إبسن للتحرر الاجتماعي مع **الدعوة الاشتراكية** ، التي بدات تنتشر في ذلك الوقت ، والتي راى فيها إبسن دعوة واعية صالحة لا تحتقر القديم لقدمه ولا تتحمس للجديد لجدته ، بل انها اشتراكية تزن كل شيء وتحاول ان تقيم العالم على اساس من التفاهم الصادق الخالي من الانانية ، والذي يقدر فيه الفرد مصلحته ومصلحة الجماعة واخوته في الانسانية بمقاييس عادلة لا شطط فيها ولا إثرة ولا مغالاة . . مقاييس تحفز الهمم وتمحق الطمع ولا تسمح بان يكون المجتمع والحكم والاخلاق والاديان لعبا في ايدي المالكين واصحاب رؤوس الاموال يستعبدون بها الافراد والجماعات ويزرعون بذلك في نفوس مواطنيهم القلق والنقمة والتمرد والفساد .

وقد احدثت افكار إبسن النقلة في ادب الغرب الذي ظهر بعد عام ١٨٨٠

(**البقية على ص ٣٥**)

* تيسير العاروري *
- جامعة بير زيت -

حول الخلافات الايديولوجية بين الحركة الشيوعية العالمية والحزب الشيوعى الصينى

وضع المسألة :

هل الخلاف هو بين الحزب الشيوعي الصيني والحزب الشيوعي السوفييتي كما يحلو للدوائر الامبريالية تصوير القضية ؟ أم ان الخلاف هو بين الحزب الشيوعي الصيني من جهة ، والحركة الشيوعية العالمية بما في ذلك الحزب الشيوعي السوفييتي من جهة اخرى ؟

ان الاستعراض التاريخي لتطور هذه الخلافات هو وحده الكفيل بالاجابة على هذا السؤال . لدى حل الكمنفورم (الهيئة الاستشارية للحركة الشيوعية العالمية) عام ١٩٤٦ ، تم الاتفاق على عقد اجتماعات غير دورية (حسب مقتضى الحاجة لكافة فصائل الحركة الشيوعية العالمية تدرس فيها كل القضايا ، النظرية والعملية المستجدة على المستوى العالمي ، وتوضع فيها خطة استراتيجية موحدة للحركة على النطاق العالمي ، هذا بالاضافة الى الاجتماعات واللقاءات القارية او المنطقية لدراسة القضايا التي تهم بشكل خاص مجموعة من الاحزاب الشيوعية على نطاق قارة او منطقة جغرافية (مثل مجموعة الاحزاب الشيوعية في الدول الاشتراكية ، اوروبا الغربية ، الدول العربية ، امريكا اللاتينية ... الخ) .. وأخيرا اللقاءات والاجتماعات الثنائية ، اي بين حزبين لدراسة القضايا التي تهمهما معا او لتبادل الراي والخبرة والتجربة والمساعدة ... الخ .

في عام ١٩٥٧ عقد في موسكو الاجتماع العالمي الاول للاحزاب الشيوعية حضره ممثلون عن كافة الاحزاب الشيوعية العالمية في العالم بما في ذلك وفد يمثل الحزب الشيوعي الصيني برئاسة ماو تسي تونغ . وقد اقر هذا الاجتماع بالاجماع وثيقة هامة تضمنت تقييما دقيقا للاوضاع الدولية وميزان القوى العالمي . بالاضافة الى العدد من الاستنتاجات تتضمن تطويرا خلاقا لبعض المسائل النظرية والمسائل المتعلقة بالاستراتيجية الدولية والنضال ضد الرأسمالية والرجعية ومن اجل انتصار الاشتراكية على المستوى العالمي ، ومن ضمنها قضية عدم حتمية الحرب وسيادة التعايش السلمي وامكانية انتصار الاشتراكية بالطرق السلمية والبرلمانية في بعض البلدان وقضايا حركات التحرر وآفاق تطور دول « العالم الثالث » وغيرها من القضايا .

وفي عام ١٩٦٠ عقد في موسكو ايضا الاجتماع الثاني للاحزاب الشيوعية والعمالية . وقد مثل الحزب الشيوعي الصيني وفد برئاسة ليو تشاو تشي (رئيس جمهورية الصين الشعبية في ذلك الوقت) وقد اكد المؤتمر من جديد ومن خلال التصريح الذي صدر عنه على صحة الموضوعات والقرارات الصادرة عن اجتماع سنة ١٩٥٧ . هذا وقد شارك وفد الحزب الشيوعي الصيني في كلا الاجتماعين مشاركة فعالة في وضع وصياغة واقرار كافة القرارات والوثائق الصادرة عن الاجتماعين والتي تمت الموافقة عليها بالاجماع من قبل ممثلي كافة الاحزاب الشيوعية والعمالية العالمية . ولكن تجدر الاشارة الى ان الشيوعيين الصينيين كانوا قد قاموا في شهر نيسان سنة ١٩٦٠ بنشر سلسلة من المقالات في صحيفة (جيمن جيباو) - لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني تحت عنوان - عاشت اللينينية - وهي عبارة عن تزييفات وموضوعات مبتورة مأخوذة من مؤلفات لينين المشهورة ومؤولة تأويلا خاطئا . ومن حيث الجوهر كانت موجهة ضد أسس اجتماع موسكو سنة ١٩٥٧ الذي وقعه ماو تسي تونغ نفسه . وفي اجتماع سنة ١٩٦٠ (موسكو ، تشرين الثاني) رفضت الاغلبية الساحقة من الاحزاب الشيوعية النظرات والمفاهيم الخاطئة التي نادت بها قيادة الحزب الشيوعي الصيني وقد وقع الوفد الصيني على الوثائق الصادرة عن الاجتماع بعد ان شعر بخطر العزلة وبعد ان رفضت بقية الوفود مشاركته آراءه . ولكن وبعد الاجتماع بقليل من الوقت استأنف القادة الصينيون الدعاية لاتجاههم مستغلين لذلك قيادة حزب العمل الالباني . وخلال السنوات ٦١ ، ٦٢ ، ١٩٦٣ بذلت الاحزاب الشيوعية كل جهد ممكن من اجل :

اولا : ابقاء الخلافات مع الصينيين داخلية وان لا تنتقل الى صفحات الجرائد لكي يسهل حلها ولكي لا يفسح المجال لدوائر الامبريالية والرجعية لاستغلالها .

ثانيا : طرق كل الابواب الممكنة من اجل حل الخلافات مع الصينيين من اجل المحافظة على وحدة الحركة الشيوعية العالمية بصفتها (أي الوحدة) عاملا حاسما في الصراع ضد الامبريالية

والرجعية . ومن اجل ذلك زار بكين وفود كثيرة من الاحزاب الشيوعية للبحث مع القادة الصينيين في اطروحاتهم الخاطئة ولمحاولة تضييق شقة الخلاف معهم، كما تبادل العديد من الاحزاب الشيوعية الرسائل مع الرفاق الصينيين للغرض نفسه . وقد تقدمت الاحزاب الشيوعية في فيتنام وانجلترا واندونيسيا والسويد في اوائــــل سنة ١٩٦٢ باقتراح لعقد اجتماع لممثلي كافة الاحزاب الشيوعية والعمالية . وقد وافق الرفاق السوفييت على الاقتراح في حين تجاهله الرفاق الصينيون . كما تقدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي في رسالتها الموجهة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المؤرخة في ٣٠ آذار سنة ١٩٦٢ باقتراح حول عقد اجتماع بين الحزبين كما اقترحت موعدا ومكانا محددين (على ان يكون هذا الاجتماع مجرد اجتماع تمهيدي لعقد اجتماع عام للاحزاب الشيوعية) ، «.. واننا نقترح ان المحادثات يمكن ان تتم في ١٥-٥-١٩٦٢ ، اذا كان هــــذا الموعد مقبولا لديكم » .

ولكن الرسالة الصينية والمؤرخة في ١٤ حزيران ١٩٦٢ تجاهلت تماما الاقتراح حــــول عقــــد اجتماع لممثلي الحزبين وانما اكتفت باستعراض وجهة نظر الصينيين في العديد من القضايا وفي تقديم درس في اسس الماركسية اللينينية . وقد تبين غرضهم من ذلك عندما قاموا بنشر الرسالة علنا ، وطبعها وتوزيعها في مختلف دول العالم . ان كتابة الرسالة بهذه الطريقة ومن ثم نشرها يدل على رغبتهم في ايهام القارىء وكأن الطرف الاخر يقول شيئا آخر ، وكأن هناك خلاف على هذه الاسس الماركسية - اللينينية او على بعضها . ولايهــــام القارىء بان الطرف الاخر يعارض هذه الاسس ، وان الصينيين هم وحدهم المدافعين عنها . كما وتجدر الاشارة الى ان الرسالـــــة الصينية قد تضمنت تشويها مقصودا لمواقف الاحزاب الشيوعيـــة الاخرى في العديد من القضايا ، كما انهم ينسبون للحزب الشيوعي السوفييتي ولغيره من الاحزاب الشيوعية مواقفا ووجهات نظر لم تعبر عنها يوما من الايام . ولم يكتف القادة الصينيون بتعنتهم وعدم تجاوبهم مع كل المحاولات التي بذلتها مختلف الاحزاب الشيوعية لوضع حد لخلافاتهم مع الحركة الشيوعية العالمية بل قاموا بنشر كل ما يتعلق بالخلاف من رسائل متبادلة وغيرها في الصحف الصينية اليومية وقاموا بتوزيعها على وكالات الانباء العالمية مما اتاح الفرصة للدوائر الامبريالية والرجعية لاستغلالها اعظم استغلال لتوسيع شقة الخلاف ، ولقسم الحركة الشيوعية العالمية ، مما كان له اعظم الاثر على مسار الحركة الثورية العالمية وقضية الحريـــة والدمقراطية والتحرر الوطني والاشتراكية .

والان وقد بينا ان طبيعة الخلاف ليست صينية - سوفييتية كما تدعي وسائل الاعلام البرجوازية وبرهنا على ان القادة الصينيين يتحملون المسؤولية كاملة في ايصال الامور الى هذا الحد فاننا ننتقل الى استعراض أهم نقاط الخلاف .

١ ـ موضوعة عدم حتمية الحرب (١)

لقد كانت الحركة الشيوعية العالمية وحتى انعقاد اجتماع سنة ١٩٥٧ تأخذ بموضوعة تقول بان الحرب حتمية . وهذه الموضوعـــة تستند الى التحليل اللينيني القائل : «انه لما كانت الهيمنة في العالم هي للامبريالية ، وان الامبريالية هي التي تقرر وحدها فقط موضوع الحرب والسلم في العالم فان الحرب حتمية لا مفر منها وذلك بفعل القانون الاقتصادي الذي يحكم طبيعة تطور الراسمالية في مرحلة الامبريالية « قانون التفاوت في التطور » في مختلف الدول الراسمالية والذي يؤجج ويسعر التناقضات التي لا تسوى في مرحلة هيمنة وسيادة الدول الامبريالية على الكرة الارضية الا بالحرب ، بصفتها الاسلوب الوحيد الممكن من اجل اعادة تقاسم الاسواق ومصادر المواد الخام ، لاعادة تقسيم المستعمرات في مثل هذه الظروف . ولـــكن الهيمنة انتهت بتشكل المنظومة الاشتراكية وتوطدها على أثر انتصار الاشتراكية في مجموعة من الدول في اوروبا وآسيا بعد الحرب العالمية الثانية ، واصبحت الاشتراكية تظلل اكثر من ثلث سكان العــــالم واكثر من ربع مساحته . وقد درس اجتماع سنة ١٩٥٧ هذه القضية واستخلص بانه طالما انتهت الهيمنة الامبريالية من جهة ، ونتيجة لتعاظم قوة وجبروت المعسكر الاشتراكي العسكرية التي تستطيع ان تكيل الصاع صاعين للمعتدي ، ونتيجة لتقدير التغيير النوعي الجذري في وسائل خوض الحرب بعد اختراع الاسلحة الصاروخية والنووية الحرارية في اواسط هذا القرن والتي غيرت التطورات السابقة عن الحرب والسلم ، هذا السلاح الذي يملك قوة تدمير لا سابق لها . وحسبنا القول ان قوة انفجار قنبلة هيدروجينية قوة واحد يفوق قوة انفجار جميع المتفجرات التي سبق واستخدمت في جميع الحروب السابقة بما فيها الحربان العالميتان الاولى والثانية . ومن أمثـــال تلك القنابل تكدست الالاف والالاف . نتيجة لكل ذلك فقد خلص اجتماع سنة ١٩٥٧ الى القول ان الحرب لم تعد حتمية . وهــــذا بالطبع لا يعني مطلقا انها مستحيلة الوقوع . انها قد تقع وقد لا تقع ولكن وقوعها لم يعد حتميا .

وهكذا في ظل الاوضاع الجديدة يصبح النضال ضد الحرب ومن اجل السلام نضالا مجديا ، وهو جــــدير بالقوى التقـــدمية والثورية ، حيث ان الحرب تعني الدمار الكامل والتام للحضارة والفناء للبشرية . وفي الوقت نفســه وحيث ان الحرب ممكنة ، رغم ان وقوعها ليس حتميا ، فان على الدول الاشتراكية ان تبقى يقظة وان تواصل تطوير قواتها العسكرية بحيث تحافظ باستمرار على تفوقها ، ولتبقى درعا قويا للسلام ، حيث ان السلام ممكن المحافظة عليه فقط عندما تكون قوى الامبريالية والعدوان على يقين تام بانهـــا ستتلقى ضربة ماحقة اذا ما حاولت شن الحرب. ان القادة الصينيين لا يؤمنون بامكانية درء الحرب وما زالوا متمسكين بموضوعة حتمية الحرب وفي ذلك اقرار ضمني بهيمنة الامبريالية وتحكمها في مصائر العالم . وهم بذلك يستعظمون قـــوى الامبرياليـــة والاستعمار ويستصغرون قوى الحرية والسلام والاشتراكيـــــة ، كمــــا انهم يستصغرون خطر الحروب النووية الحرارية اذ يزعمون بان « القنبلة الذرية نمر من ورق » .

٢ ـ قضية التعايش السلمي

ان قضية التعايش السلمي ترتبط ارتباطا جذريا وتنبع بشكل مباشر من موضوعة « عدم حتمية الحرب » . فطـــالما نحن نعيش في عصر يوجد فيه عالمان ، نظامان : اشتراكي ورأسمالي . وطالما ان الحرب بين النظامين ليست حتمية ، فـــلا بد لهذين النظامين ان

يتواجدا جنبا الى جنب خلال حقبة من الزمن ستمتد حتى الانتصار التام للاشتراكية على الكرة الارضية . وهذه الحقبة الزمنية ليست بالضرورة حقبة حرب باردة وسباق تسلح رهيب ، وليست بالضرورة حقبة سياسة شفى الحرب والتهديد بحرب الابادة الكونية . لقد بيّن اجتماع سنة ١٩٥٧ ان هذه الفترة يمكن ، بل يجب ان تكون فترة تعايش سلمي بين النظامين الاجتماعيين المختلفين ، وان كافة القضايا التي تبرز حتما في العلاقات بين بلدان هذين النظامين انما يجب حلها بالمفاوضات والاتفاقات وليس بقوة السلاح فقط . ونحن عندما نتكلم عن التعايش السلمي انما نقصد به علاقات البلدان الاشتراكية على مستوى الدولة مع البلدان الراسمالية . ان مبدأ التعايش السلمي لا يمكن بالطبع ولا باي حال من الاحوال ان يشمل العلاقات بين الطبقات المتناحرة داخل الدولة الراسمالية ، ولا يجوز بسطه على نضال الطبقة العاملة ضد البرجوازية ، ولا على نضال الشعوب المستعمرة والتابعة ضد الاستعمار والامبريالية . كما انه لا يمكن ان يكون هناك تعايش سلمي في الميدان الايديولوجي . وهذه حقائق اولية يجب ان يستوعبها كل من يعتبر نفسه ماركسيا ـ لينينيا . وقد جاء في بيان اجتماع سنة ١٩٦٠ : « في ظروف التعايش السلمي تنشأ امكانيات ملائمة لتطوير النضال الطبقي في البلدان الراسمالية ، ولتطوير حركة التحرر الوطني لشعوب المستعمرات والبروليتاريا التابعة . ونجاحات النضال الطبقي الثوري ونضال التحرر الوطني ستسهم بدورها في تمتين التعايش السلمي » . ولعل نجاحات الطبقة العاملة في اسبانيا والبرتغال وفرنسا وايطاليا وغيرها ، والانتصارات الكبرى لشعوب فيتنام ولاووس وكمبوديا وانغولا وموزامبيق وغينيا بيساو واليمن الدمقراطية واثيوبيا وغيرها * لهي خير برهان على ذلك . كما ان هذه النجاحات والانتصارات كانت عاملا هاما فيما تحقق من انفراج في العلاقات الدولية ، وتجاوز مرحلة الحرب الباردة ، ونجاح مؤتمر هلسنكي واطفاء بؤر الحرب والتوتر في اوروبا . ولدى الحديث عن سياسة التعايش السلمي ، يجب الاشارة الى ان وسائل الاعلام البرجوازية ، وعن قصد خبيث ، تطلق عليها « سياسة الوفاق الدولي » وذلك لطمس جوهرها الحقيقي والطبقي ، وتشويه محتواها وذلك عن طريق ايهام الشعوب بان هناك « وفاق » بين الاشتراكية والراسمالية ، بين البروليتاريا والبرجوازية ، بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ، كذلك بهدف الاساءة لسياسة التعايش السلمي والمعسكر الاشتراكي وللاتحاد السوفييتي بشكل خاص .

اما بالنسبة للقادة الصينيين ، وحيث انه يتعذر عليهم معارضة سياسة التعايش السلمي بشكل مباشر ، حيث ان لينين نفسه هو الذي تقدم بالاستنتاج القائل بان من الممكن للبلدان الاشتراكية ان تتعايش سلميا مع البلدان الراسمالية . وانها قد اقرت من قبل ممثلي كافة الاحزاب الشيوعية ومن ضمنها ممثلي الحزب الشيوعي الصيني في اجتماع سنة ١٩٥٧ واجتماع سنة ١٩٦٠ ، فانهم يلجأون الى تزييف مواقف الحزب الشيوعي السوفييتي عندما يتهمونه بانه يريد ان يطبق سياسة التعايش السلمي « بين الامم المضطهِدة والمضطهَدة او بين الشعوب والطبقات المضطهِدة والمضطهَدة » وغير ذلك من التشويهات والاتهامات التي يكيلها الصينيون بالقنطار .

٣ ـ التناقض الرئيسي لعصرنا

ان قضية تحديد التناقض الرئيسي هي قضية على غاية من الاهمية كما تؤكد المادية الديالكتيكية لدى تحليل ومعالجة اية ظاهرة . وقد حلل اجتماع سنة ١٩٥٧ الاوضاع الدولية وطبيعة القوى والتناقضات العالمية ، وذلك من اجل وضع استراتيجية وخطة عمل للحركة الشيوعية العالمية في صراعها ضد الامبريالية ومن اجل الحرية والتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والاشتراكي ، من اجل انتصار الاشتراكية على المستوى العالمي . وقد حدد هذا التحليل التناقضات الاساسية على انها :

١ ـ التناقض بين المعسكر الاشتراكي والمعسكر الراسمالي .
٢ ـ التناقض بين الطبقة العاملة والبرجوازية في الدول الراسمالية .
٣ ـ التناقض بين حركة التحرر الوطني العالمية والاستعمار .
٤ ـ التناقض بين الدول الامبريالية .

وقد حدد بيان سنة ١٩٥٧ وتصريح سنة ١٩٦٠ ان التناقض الرئيسي من بين هذه التناقضات هو التناقض الاول ، اي التناقض بين المعسكرين . ومن اجل تبيان كيف نستطيع تحديد التناقض الرئيسي يجب تحديد الظاهرة قيد الدرس تحديدا دقيقا ، ومن ثم تحديد مجمل محصلة سماتها الاساسية ، اي تحديد كيفها . وبعد ذلك فرز كل التناقضات الداخلية في الظاهرة ومن ثم الاجابة على السؤال :

اي هذه التناقضات يؤدي حله الى تغير الظاهرة ، اي تغير كيفها ؟ والجواب على هذا السؤال ، يحدد التناقض الرئيسي الذي يجب ان يكون بدوره تناقضا بين قطبي الظاهرة الرئيسية . وحيث ان عصرنا يميزه اساسا (اي كيفه) « ثنائية » : اشتراكي وراسمالي ، ووجود طريقان للتطور لا ثالث لهما ـ راسمالي واشتراكي ، ووجود تشكيلتان اجتماعيتان اقتصاديتان الاشتراكية والراسمالية . ولن يتغير جوهر عصرنا (كيفه) الا بالانتصار التام للاشتراكية على المستوى العالمي (انتصار الراسمالية على الاشتراكية مستحيل لتناقضه مع قوانين التطور والحتمية التاريخية) فلن يكون من الصعب رؤية ان حل اي من التناقضات (٢ ، ٣ ، ٤) لن يؤدي الى تغير كيف الظاهرة ، وانما فقط الى تغير بعض سماتها . وان حل التناقض الاول فقط هو الذي يؤدي الى تغير كيف الظاهرة وينقل عالمنا من عالم ثنائي التشكيلة الاقتصادية ـ الاجتماعية ، الى عالم أحادي التشكيلة ، عالم الاشتراكية . اما القادة الصينيون فانهم يقولون بان تناقض عصرنا ، التناقض الرئيسي « ليس هو التناقض بين الاشتراكية والراسمالية بل بين حركة التحرر الوطني العالمية والاستعمار » . ان الماركسيين اللينينيين يشيرون على الدوام الى ما لحركة التحرر الوطني ولمستقبلها العظيم من اهمية تاريخية عالمية ، ولكنهم يعتبرون شرطا من الشروط الرئيسية لانتصاراتها اللاحقة ، التحالف الوطيد والتعاون مع بلدان المنظومة الاشتراكية بوصفها القوة الرئيسية في النضال ضد الامبريالية والاستعمار .

* ثورة الشعب الايراني ضد نظام الشاه والاحتكارات النفطية والاحلاف الامبريالية .

والتحالف الوطيد مع حركة الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية ، وهذا الموقف حدده تصريح سنة ١٩٦٠ . وهو يرتكز على الفكرة اللينينية القائلة بقيادة الطبقة العاملة كشرط للانتصار في النضال ضد الاستعمار ، ولن تكتسب هذه الحركة في آخر المطاف طابعا اشتراكيا حقا ولن تنتهي الى الانتقال الى طريق الثورة الاشتراكية الا بشرط مثل هذه الزعامة . لكن يبدو ان القادة الصينيين يريدون «تصحيح» ماركس وانجلز ولينين ، وان يبرهنوا على ان البرجوازية الصغيرة ، ومن ضمنها الفلاحين والبرجوازية الوطنية وحتى بعض الملوك والامراء والارستقراطيين (امثال الامير سيهانوك) من ذوي الميول (الوطنية) ، لا الطبقة العاملة ، يجب ان يكونوا قادة النضال العالمي ضد الامبريالية والاستعمار . ولا شك بان القادة الصينيين لديهم القدرة النظرية لفهم مثل هذه الامور . وما موقفهم هذا الا موقف متعمد قصد منه تملق حركة التحرر الوطني ، لايهام قادة حركات التحرر وشعوب العالم ، بان الصين ، والصين فقط ، هي «الحليف الامين والسند المدافع عن حركات التحرر» . ولكن مواقفهم العملية اللاحقة تجاه حركات التحرر في انغولا وبنغلاديش والسودان ومصر والعراق والهند والباكستان وفيتنام وغيرها ، لهي خير دليل على زيف مواقفهم وخلو كل عباراتهم الثورية الطنانة من اي محتوى. ولدى الحديث عن التناقض الرئيسي يجب التنويه الى انه لا يكون دائما بالضرورة هو نفسه احدّ التناقضات (اي اكثرها حدة) . فاحيانا قد يكون التناقض الرئيسي هو اكثر التناقضات حدة واحيانا قد لا يكون . وخلال العقدين الاخيرين كان التناقض بين حركة التحرر الوطني والاستعمار في معظم الاوقات هو احدّ التناقضات على المستوى العالمي باستثناء بعض الاحيان ، وبالذات ابان الازمات الدولية الحادة مثل أزمة البحر الكاريبي (ازمة كوبا) وازمة برلين وازمة لاوس وازمات تصعيد الحرب الفيتنامية وازمة العدوان الثلاثي على مصر وازمات دولية أخرى .

٤ ـ موضوعة مركز الحركة الثورية العالمية

لقد صاغ هذه الموضوعة ماركس وانجلز ، وحددا مركز الحركة الثورية في عصر ما قبل الاشتراكية ، بانه يكون في ذلك البلد حيث حركة الطبقة العاملة ، قوتها وتنظيمها ووعيها ونضالاتها ، ارقى واكثر تطورا وقوة من غيرها من البلدان . ولذلك اعتبرا ان مركز الحركة الثورية كان في المانيا في الفترة التي سبقت وابان ثورة سنة ١٨٤٧ ـ سنة ١٨٤٨ ، ولكن وعلى اثر فشل الثورة اعتبر ان هذا المركز انتقل الى فرنسا وبقي فيها حتى هزيمة كومونة باريس سنة ١٨٧١ ، حيث انتقل مرة ثانية الى المانيا . وقد تنبأ انجلز بانتقال مركز حركة الثورة العالمية الى روسيا القيصرية بسبب النمو السريع للحركة الثورية فيها في اواخر القرن الماضي، وهذا ما حصل بالفعل . وبعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى سنة ١٩١٧ طور لينين هذه الموضوعة لتتناسب مع العصر الجديد ، عصر وجود نظام اشتراكي ، حيث قال بان مركز الحركة الثورية العالمية في ظل وجود دولة او دول اشتراكية ، يبقى في الدولة الاشتراكية الوحيدة . وفي حالة انتصار الاشتراكية في اكثر من بلد فانه يكون في البلد الاشتراكي الاكثر تطورا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، اي في البلد الاشتراكي الذي يكون قد قطع شوطا اطول في بناء الاشتراكية . وبناءا عليه ، فان لينين كان يكرر في حينه انه في حالة انتصار الاشتراكية في المانيا او الولايات المتحدة فان مركز الحركة الثورية العالمية سينتقل اليها ، حيث انها كانت حينئذ اكثر تطورا من روسيا بدرجات كبيرة. اما القادة الصينيون ، ولغرض في نفس يعقوب ، فانهم قالوا اولا بان مركز الحركة الثورية ليس الاتحاد السوفييتي وانما العالم الثالث ، عالم حركات التحرر الوطني . وهذا يتناقض بصراحة مع ما تقول به الماركسية ـ اللينينية . ولكن هذا النقل لمركز الحركة الثورية الى خارج المعسكر الاشتراكي كان مجرد خطوة لاصطياد عصفورين بحجر واحد من احجار الانتهازية . فقد كانت الخطوة التالية نقل هذا المركز من جديد الى المعسكر الاشتراكي ولكن ليس الاتحاد السوفييتي وانما الى الصين . وهذا هو الغرض الحقيقي من عملية النقل والمعد سلفا من قبل القيادة الماوية حينئذ بغض النظر عن الطرق الذي دفعوا به مركز الحركة الثورية عندما نقلوه من الاتحاد السوفييتي الى افريقيا ، ومن ثم الى جنوب شرقي آسيا ليستقر أخيرا في بكين !!! كما ان الطريق الذي اختاروه اي عبر « العالم الثالث » ، كان يخدم قضية تملق حركات التحرر الوطني ومحاولة تبنيها واحتوائها وفرض الوصاية الصينية عليها .

٥ ـ طرق الانتقال للاشتراكية

لقد خلص اجتماع سنة ١٩٥٧ الى استنتاج مفاده : انه في الظروف الحالية ، ونتيجة للتغير الحاصل في موازين القوى الدولية ولاعتبارات عديدة اخرى ، فقد اضحى ممكنا الانتقال للاشتراكية عن طريق سلمي وبدون حرب اهلية ، وبشكل خاص وصول حزب الطبقة العاملة الى السلطة السياسية عن طريق البرلمان . وهذا ينطبق على بعض البلدان وبالذات تلك التي بها تقاليد برلمانية عريقة وحس دمقراطي متاصل (ايطاليا ، فرنسا ، بريطانيا ، وبعض بلدان اخرى في اوروبا الغربية) . ولكن هذا الطريق غير وارد على الاطلاق بالنسبة لدول « العالم الثالث » وغيرها من الدول ، حيث لا تتوفر الشروط المذكورة . وبالطبع فان الطبقة العاملة وطليعتها الاحزاب الشيوعية تسعى الى تحقيق الاشتراكية عن طريق سلمي بدون حرب اهلية لان تنفيذ هذه الامكانية يتماشى ومصلحة الطبقة العاملة والشعب باسره والمصالح الوطنية العامة . وعلى ذلك فان اختيار طرق تطور الثورة لا يتعلق بالطبقة العاملة وحدها ، فاذا التجأت البرجوازية الى استعمال العنف ضد الشعب ، اضطرت الطبقة العاملة الى استعمال العنف الثوري ضد البرجوازية والطبقات المستغلة والرجعية ، الى استخدام الطريق غير السلمي للاستيلاء بالسلطة السياسية . ان كل شيء يعتمد على الظروف الملموسة وتوزيع القوى الطبقية داخل البلد وعلى المسرح العالمي . وبالطبع مهما كان شكل الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ، فانه غير ممكن الا عن طريق الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا بمختلف اشكالها ، وتطبيق كافة القوانين العامة للثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية . اما القادة الصينيون فانهم يتهمون الاحزاب

الشيوعية الاخرى ، ومن ضمنها الحزب الشيوعي السوفييتي ، بانها لا تعترف الا بالطريق السلمي للاشتراكية ، وذلك من اجل تشويه مواقفها والاساءة اليها . على الرغم من ان كل الحركة الشيوعية العالمية تنطلق من امكانية الانتقال السلمي وغير السلمي للاشتراكية ، وذلك وفقا للظروف الموضوعية في كل بلد على حدة ، والظروف العالمية بشكل عام . وان هذه بديهية من البديهيات الماركسية في عصرنا الراهن .

كما ان الصينيين يعتبرون ان المعيار الاساسي للثورة هو الاعتراف بالانتفاضة المسلحة على الدوام وفي كل مرة وفي كل مكان ، وينكرون امكانية استخدام الاشكال السلمية للنضال من اجل انتصار الثورة الاشتراكية . كما انهم يتهمون ، بمباهاة وبشكل مهين ، الاحزاب الشيوعية في اوروبا الغربية والولايات المتحدة وغيرها من البلدان ، بالانتهازية والاصلاحية والبلاهة البرلمانية ، وحتى بالانزلاق الى « الاشتراكية البرجوازية » و « التحريفية » ، فعلى اي اساس ؟ على اساس ان هذه الاحزاب الشيوعية لا ترفع شعار الثورة البروليتارية الفورية . مع انه يجب على القادة الصينيين ايضا ان يدركوا ان هذا غير ممكن بدون وجود وضع ثوري، وكل ماركسي لينيني يعرف ان رفع شعار الانتفاضة المسلحة قبل او حين ينعدم الوضع الثوري في البلد ، يعني الحكم على الطبقة العاملة بالهزيمة . وان الذي يستطيع ان يحدد درجة حدة التناقضات الطبقية ووجود الوضع الثوري بشكل دقيق ، هو فقط الطبقة العاملة وطليعتها الحزب الشيوعي في ذلك البلد .

٦ – ديكتاتورية البروليتاريا داخل الاتحاد السوفييتي

لقد اجرت مؤتمرات الحزب الشيوعي السوفييتي العشرين والحادي والعشرين والثاني والعشرين مسحا اجتماعيا للطبقات في الاتحاد السوفييتي وما حصل فيها من تغيرات على ضوء ما تم انجازه في عملية بناء الاشتراكية ، وخلصت الى استنتاج مفاده انه لم تعد هناك ضرورة موضوعية لممارسة دكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفييتي ، وان الدولة اصبحت دولة الشعب . كما ان الحزب اصبح حزب الشعب باسره . وقد اقر اجتماع سنة ١٩٥٧ واجتماع سنة ١٩٦٠ هذا الاستنتاج . ولكن القادة الصينيين يصرون على ان في المجتمع السوفييتي لا تزال هناك طبقات معادية . ولذلك ما تزال هناك ضرورة لدكتاتورية البروليتاريا . فما هي هذه الطبقات ؟ انها على حد قول الصينيين « الطفيليون والمضاربون واللصوص والمختلسون » . فماذا يمكن ان نقول وللشيوعيين الصينيين تصور اصيل عن الطبقات والصراع الطبقي . فمنذ متى اصبحت تعتبر هذه العناصر الطفيلية طبقة ؟ واي طبقة ؟ بالطبع لا تؤلف هذه العناصر طبقة في المجتمع الاشتراكي ولا في اي مجتمع ، انها ظاهرة بقايا الراسمالية في الاشتراكية . ومن اجل مكافحة هؤلاء الناس لا حاجة الى دكتاتورية البروليتاريا ، ومن المعروف ان التجربة العملية للدول الاشتراكية ، انه بقدر ما تحسن المنظمات الحزبية والنقابية وغيرها من المنظمات الاجتماعية في المجتمع الاشتراكي من عملها التربوي ، وبقدر ما يرتفع دور الرأي العام ، وبقدر ما تنشط الميليشيا الشعبية (الشرطة) ، فان النضال ضد الاجرام يصبح اكثر فعالية . ان الواقع الموضوعي وعلم الاقتصاد السياسي يبينان ان المجتمع السوفييتي يتالف اليوم من طبقتين اساسيتين ، العمال والفلاحين الكولخوزيين ، وفئة المثقفين . وان ما من طبقة في المجتمع السوفييتي تحتل وضعا تستطيع معه ان تستثمر طبقات اخرى . ان الدكتاتورية مفهوم طبقي ، فعلى من يقترح القادة الصينيون ممارسة دكتاتورية البروليتاريا في الاتحاد السوفييتي ؟ على الفلاحين الكولخوزيين ام على مثقفي الشعب ؟ كما لا يمكن ان نسقط من الحساب ان طبقة الفلاحين الكولخوزيين وطبقة العمال في المجتمع الاشتراكي قد تغيرت من حيث الجوهر ، وان الفوارق والحدود الطبقية بينها تنمحي وتضمحل اكثر فاكثر ، ان الطبقة العاملة بعد الانتصار النهائي الاشتراكية وفي مرحلة بناء القاعدة المادية والتكنولوجية الشيوعية ، لا تكون بحاجة الى دكتاتورية البروليتاريا في ممارستها لدورها القيادي . والطبقة العاملة بدون جدل تبقى اكثر الطبقات ثورية وتقدما ، بما في ذلك في مرحلة وظروف بناء الشيوعية ، حيث يحدد وضعها الاقتصادي ودورها التنظيمي : فهي تملك الخبرة الثورية والتمرس الطويل في النضال . ان ماركس كان يعني بالشيوعية التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية ، اي بمرحلتيها الاشتراكية والشيوعية عندما كتب في تقرير برنامج غوته « ان محتوى مرحلة الانتقال من الراسمالية الى الشيوعية لا يمكن ان يكون الا دكتاتورية البروليتاريا » والاشتراكية هي الطور الاول من الشيوعية ، وهي التي يستحيل الانتقال اليها بدون الثورة ودكتاتورية البروليتاريا . وفي العديد من اقوال لينين اشارة واضحة لا لبس فيها ان دكتاتورية البروليتاريا ضرورية من اجل تذليل مقاومة الطبقات المستغلة وتامين انتصار الاشتراكية وبنائها ، ونفهم من ذلك ان الحاجة الى الدكتاتورية تزول بعد الانتصار التام للاشتراكية حيث لا يبقى الا الطبقات الكادحة المتصادقة وحيث لا يوجد من يوجه القمع ضدهم .

٧ – قضية النمو الاقتصادي في الدول الاشتراكية

من المعروف ان مستوى التطور الاقتصادي في مختلف الدول الاشتراكية والمراحل التي قطعتها كل دولة على طريق بناء الاشتراكية والشيوعية يختلف من دولة لدولة ، وذلك لاسباب تاريخية تتعلق بمستوى التطور الاقتصادي في كل بلد قبل انتصار الثورة الاشتراكية فيه ومتى تم انتصار الثورة فيه . لقد طرح القادة الصينيون وجهة نظر مفادها ان توقف الدول الاشتراكية ، الاكثر تقدما ، نموها وتطورها الاقتصادي ، وتحول كل هذه الامكانات لصلحة الدول الاشتراكية الاخرى الاقل تطورا حتى تلحق بالاولى ، ومن ثم تسير كافة الدول الاشتراكية معا جنبا الى جنب وعلى نفس الدرجة من التطور الاقتصادي نحو الشيوعية . ان وجهة النظر هذه ليست صحيحة نظريا وغير ممكنة التحقيق عمليا في ظروف عالمنا المعاصر . فمن الواضح تماما مدى ارتباط التطور العسكري بالتطور الاقتصادي وبالتالي فان الاقتراح الصيني سيعيق حتما امكانيات التطور العسكري ، وبالتالي فان ذلك سيفسح المجال للاخلال

بموازين القوى العالمية لمصلحة الامبريالية . ويتيح لها امكانيات تحقيق تفوق عسكري على المعسكر الاشتراكي وبالتالي سيكون المجتمع الاشتراكي بأسره « تحت رحمة » الامبريالية ، تستطيع ابادته متى شاءت ، وهي لا شك تشا ذلك في كل وقت . اما من الناحية النظرية ففي وجهة نظر الصينيين اخلال بالقانون الاقتصادي الاساسي للاشتراكية ، كما حدده ماركس وانجلز ولينين ، وكما حدده علم الاقتصاد السياسي وهو ينص على : « ان الهدف المباشر للانتاج الاشتراكي هو تلبية حاجات الشعب المادية والروحية المتنامية بلا انقطاع تلبية اكمل فاكمل ، وذلك بتطوير وترقية الانتاج الاجتماعي باستمرار على اساس التكنيك الارقى » ولكن الاعتراض على وجهة النظر الصينية لا يعني مطلقا التخلي عن الواجب الاسمى للدول الاشتراكية المتقدمة في مساعدة الدول الاشتراكية الاقل تقدما ، ولتضرب هي بدورها المثل امام الشعوب المتخلفة والطبقات المضطهدة بانجازاتها ونجاحاتها ، وان الاممية البروليتارية تحتم على الدول الاشتراكية الاكثر تقدما ان تقدم كل ما بوسعها تقديمه من اجل مساعدة الدول الاشتراكية الاخرى ، وتحتم على الاحزاب الشيوعية في الدول الاشتراكية ان تقدم العون للاحزاب الشيوعية الاخرى ولحركات التحرر الوطني وللشعوب المضطهدة . وان كل من لديه ادنى اطلاع على حجم المساعدات التي قدمها ويقدمها الاتحاد السوفييتي للدول الاشتراكية الاخرى ، او تلك التي تقدمها الدول الاشتراكية وبشكل خاص الاتحاد السوفييتي للاحزاب الشيوعية وحركات التحرر وللشعوب لا يستطيع ان ينكر ان الاتحاد السوفييتي يلتزم اشد الالتزام بقواعد الاممية البروليتارية ولا يتقاعس مطلقا عن تادية واجباته الاممية .

٨ ـ سياسة القفزات الكبرى

لقد طرح ماو تسي تونغ في اواخر العقد السادس سياسة اقتصادية من اجل النهوض بالاقتصاد الصيني نهضة كبرى خلال فترة زمنية قصيرة ، وذلك من خلال قفزات اقتصادية كبرى ، وقد رأى الخبراء الاقتصاديون الصينيون والسوفييت منذ اللحظة الاولى لطرح هذه السياسة الاقتصادية انها ستؤدي حتما الى نكسات اقتصادية كبرى وانها ستعود باشد الضرر على الاقتصاد الصيني ، ومن ثم على الشعب الصيني وقضية بناء الاشتراكية في الصين . ذلك لافتقارها الى النظرة والاساس العلمي ولكونها ذاتية ، ولاهمالها للعوامل والظروف الموضوعية والامكانات الحقيقية المتوفرة ، بالاضافة الى خرقها للقوانين الاقتصادية الاساسية . ولدى اصرار ماو تسي تونغ على تنفيذ هذه السياسة ، واصرار الخبراء الاقتصاديين من جهتهم على موقفهم لعدم رغبتهم في تحمل مسؤولية وتبعات سياسية اقتصادية مكتوب لها الفشل سلفا . قامت القيادة الصينية بابعاد الاقتصاديين الصينيين المعارضين عن مراكزهم[٢] اما الخبراء السوفييت فقد عادوا الى بلادهم . وبعد مضي قرابة الخمس سنوات على تطبيق سياسة القفزات الكبرى ، وبعد ان ادت كما كان قد قرر الخبراء سلفا الى نكسات اقتصادية كبيرة ، اضطرت القيادة الصينية الى التراجع عن هذه السياسة الاقتصادية واعلان فشلها . ومن الجدير بالذكر انه وبعد هذه التجربة المؤلمة كررت القيادة الصينية بزعامة ماو نفس الخطا .

اذ عندما طرح الخبراء الاقتصاديون (على رأسهم لي وعضو المكتب السياسي تينغ هيساو بنغ ضرورة تطبيق الحوافز المادية (٣) الى جانب الحوافز المعنوية للشغيلة من اجل زيادة الانتاج ، اتهموا بالتحريفية وبانهم يريدون اعادة الراسمالية للصين وغيرها من الاتهامات ، واقصوا عن مراكزهم للمرة الثانية خلال اقل من عشر سنوات وارسلوا الى الريف الصيني « لاعادة تربيتهم » هناك بعد ان فرض عليهم ان ينتقدوا انفسهم علنا . ولكن بعد موت ماو اعيد اليهم اعتبارهم وطبقت آراؤهم وها هو تينغ هيساو بنغ يشغل مركز النائب الاول لرئيس الحزب ورئيس الوزراء هوا كو فنغ بالاضافة الى رئاسة اركان الجيش الصيني .

٩ ـ موضوع اقتناء الاسلحة النووية

لقد طالبت القيادة الصينية الاتحاد السوفييتي ان يقوم بمساعدتها في بناء صناعتها الخاصة بها لانتاج الاسلحة النووية . وقد كانت وجهة نظر الشيوعيين السوفييت ، ان بناء مثل هذه الصناعة سيكلف الاقتصاد الصيني مبالغ طائلة ، وسيكون عبئا ثقيلا على كاهل الشغيلة والكادحين الصينيين دون ما حاجة ملحة لذلك . وان الاتحاد السوفييتي ملزم بالدفاع عن حرمة الدول الاشتراكية كلها بما فيها جمهورية الصين الشعبية ضد اي عدوان امبريالي . وقد اقترح الاتحاد السوفييتي على الصين توقيع اتفاقية دفاع مشترك او ان تنضم لحلف وارسو او اي شيء اخر تراه مناسبا وترى فيه ضمانة كافية ضد اي عدوان امبريالي . كما ان الاتحاد السوفييتي كان يشن حملة سياسية عالمية في ذلك الوقت من اجل التوصل لاتفاقية دولية لحظر اجراء التجارب النووية (وقد تم توقيع هذه الاتفاقية من قبل معظم دول العالم في موسكو في خريف سنة ١٩٦٣) ومن اجل منع انتشار الاسلحة النووية على اعتبار انه كلما زاد عدد الدول المالكة للاسلحة النووية او تحريمها دوليا او نزعها تصبح اكثر صعوبة وتشعبا . ومن اجل اثبات الاتحاد السوفييتي احسن نيته في موقفه هذا تجاه بناء صناعة اسلحة نووية صينية ، ابدى استعداده للسماح لطلبة صينيين في الدراسة في المعاهد العلمية ذات العلاقة بهذه الصناعات . كما سمح للعلماء الصينيين بالاطلاع على منجزات الاتحاد السوفييتي بهذا المضمار . وليس من قبيل الصدفة مطلقا ان يكون الطاقم العلمي الصيني الذي قام ببناء اسلحة نووية صينية فيما بعد ، كلية من اشخاص تخرجوا من الجامعات والمعاهد العلميه العليا السوفييتية او قاموا بدورات دراسية فيها .

---

١ ـ عندما ترد كلمة الحرب فاننا نقصد بها الحرب العالمية فقط وليس الحروب المحلية او حروب التحرر الوطني او غيرها .

٢ ـ احد الذين ابعدوا في حينه الخبير الاقتصادي والمالي « لي » وقد اعيد اليه اعتباره في اواسط الستينات ومن ثم ابعد من جديد الى ان اعيد اليه اعتباره للمرة الثانية بعد موت ماو تسي تونغ وتم تعيينه وزيرا للمالية .

٣ ـ الحوافز المادية ـ هي اعطاء الشغيلة جوائز مالية ومادية مقابل براعتهم وتفوقهم . اما الحوافز المعنوية فهي شهادات التقدير والميداليات ونشر الصور وغيرها تقديرا لتفوق الشغيل وابداعه .



* عبد القادر صالح *

وردة لسامي .. حمامة للوطن

« كان سامي حمامة على مئذنة .. وطار » .

– ١ –

سامي المتهدل كجدائل خديجة ، الطالع من جرح
سامي شجرة الزعرور المتحصنة باشواكها
المتلبد في سماء جنين هرة
الشاحب كشمس تستحم بدم الشفق
تخطف رجلك الى القبر قليلا وتعود
القاك في الشارع فقبلك قبلة على الجبين
وقبلة على الصليب
وتنحدر كدمعة على وجنة الارض
لتلتقي « بمنتهى » وفاءً لموعد زعفره الشفق
اصطفيك نبيا واعمدك مسيحاً
فتتجاهلني وترحل
ارفعك على مئذنة البلدة كحمامة
لتهدل بالنبوءة
ثم تسبقني الى بيارات جنين
وتفوز وحدك بالبرتقال والدهشة والكلمات
سامحك الله .

– ٢ –

وللسماء التي سامي ملاءتها
اسريت والشمس في يمناي تلتهب
وقلت هذي روابينا مكبلةٌ
فانداح سامي وظل الله يحتجب

– ٣ –

سامي
يولد بين عذاب الجذر النامي وشموخ سماء الشوق
يتصاعد بين الجرح الدامي والسكين
أنا لم اعرفك ووجهك يكسونا بالذكرى
ويطل علينا من فوق القامات
ويومض مثل البرق
انا لم اعرفك قتيلاً يا سامي
لكن ضمنتك حين تواصلنا بالعشق

– ٤ –

للصمت او للوقت
عذاب هذا الجذر في ترابه
للنور او للنار
وميض هذا الرمح في اغترابه
كالطيف او كالسيف
يومض هذا الوجه في اقترابه
ويولج المدار في مداره
والليل في نهاه
سامي على مئذنة يصدح بانتصاره

– ٥ –

ليس للغسق المتدلي على وجه أيامنا
غير أن يشرب الدم آنا
وآنا يقيء الدم المتقيح في أعين الساسة السخفاء
ان سامي ارتوى من مياه المخيم لم يتجرع كؤوس الدماء

– ٦ –

ليس سامي صريع رصاص الغزاة وحسب
ليس سامي المؤذن في غبش الفجر
او في خلال اليقين وحسب
إنه الدرب والسائرون على الدرب
إنه عنفوان الارادة ، وهو احتفال الشهادة
وهو النبيّ الجديد الى القاعدين على الدرب
ان سامي يسير
ونحن نسير
وان الدروب تسير

– ٧ –

وسامي عريس المخيم حناؤه دمه



تهمس ذاهلة فى ثياب الحداد موزعة بين احزانها امه
« آخ يـا ولـدي
تمنيت انى احتنيك فى ليلة العرس
يـا حسرة النفس
تمنيت انك تمحو سواد الرؤى المدلهمة
تمنيت ثم تعللت
اخ وقد زغردت فى دمي نخوة
اخ يمـه
اخ يـا ولـدي »

- ٨ -

للصبايا الجميلات يضحكن فى الامسيات
ويهزجن بالأمل المتشامخ فى الطرقات — المسيرات
للصبايـا
يخبئن اشواقهن بزاوية فى الفؤاد
وينسجن من نسمات الغرام حكايـا
كان يهزج فى دم سامي اشتياق
وكان يحن الى لحظات العناق
فصارت خلاياه زاوية رحبة تحتوي همسات الصبايا
وصارت عذاباته شعلة فى ظلام الزوايا

- ٩ -

يا سارية العلم الممتد الى سدرة المنتهى
نحن لم نعلن الخاتمة
لم نحدد لثورتنا المبتدى ، لا ولا المنتهى
فواصل مسيرتك العارمـة
فى ركابك تلك الرضية لينـا
وتلك المدانة فى عشقها منتهى
فواصل مسيرتك العـارمة
غضبي مـا انتهى .

عبد القادر صالح — اليامون

● صنع الله ابراهيم ●



اللجنـــــة

قصة مصرية حديثة جدا !

بلغت مقر اللجنة في الثامنة والنصف صباحا ، قبل نصف ساعة من الموعد المحدد لي . ولم اجد صعوبة في العثور على الغرفة المخصصة لمقابلاتها . وكانت في ردهة جانبية هادئة ، كابية الضوء ، ويقف امامها حارس عجوز في سترة صفراء نظيفة ، تنطق ملامح وجهه بالطمانينة التي تغشى وجوه من يرفعون راية الاستسلام عندما يجدون انفسهم في نهاية المطاف ، فينسحبون من صخب الحياة والصراع الدائر على مظاهرها الفانية .

افضى الي الحارس بان اعضاء اللجنة لا يتوافدون عـادة قبل الساعة العاشرة ، ووجدت ذلك امرا طبيعيا ، رغم انه ضايقني . وندمت لاني التزمت بالموعد المحدد بالضبط ، فغادرت فراشي مبكرا دون ان انعم بقدر كاف من النوم .

لم يكن هنالك مقعد غير الذي يجلس عليه الحارس ، فوقفت الى جواره ، ووضعت حقيبتي « السامسونايت » على الارض ، ثم قدمت اليه سيجارة واشعلت لنفسي واحدة . كان قلبي يدق بعنف طيلـــة الوقت رغم محاولاتي للتماسك والسيطرة على اعصابي . وكررت لنفسي اكثر من مرة ان اضطرابي سيفقدني الفرصة المتاحة لي اذ ساعجز عن تركيز انتباهي وهو ما احتاج اليه بشدة في المقابلة القـادمة .

ضقت بالوقوف بعد قليل ، فحملت الحقيبة في يدي ومضيت في الردهة الطويلة حتى نهايتها ، ثم استدرت عائدا وعيني على باب الغرفة ، خشية ان تكون اللجنة قد وصلت واستدعتني . لـــكن الحارس كان ما يزال جالسا في مكانه ، يحدق امامه بدعة ، وهو يحرك فمه الخالي من الاسنان كانما يلوك شيئا وهميا .

عدت اذرع الردهة جيئة وذهابا وانا اتطلع الى ساعتي بين الفينة والاخرى . وكانت عقاربها قد اقتربت من العاشرة والنصف عندما رايت الحارس ينتفض واقفا ويضع سيجارته على الارض اسفل المقعد ، ثم يدير مقبض باب الغرفة ويفتحه بحذر ، ثم يختفي وراءه .

اسرعت اتخذ مكاني الى جوار مقعد الحارس وقلبي يدق اسرع من ذي قبل . وتوقعت ان يطلب مني الحارس الدخول عندما يخرج ، لكنه لم يفعل وانما عاد الى كرسيه بعد ان تناول سيجارته ، وواصل التدخين في هـدوء .

حزمت امري اخيرا وسالته بلطف عما اذا كانت اللجنة قـــد وصلت ، فقال : « واحد منهم فقط » .

تساءلت : « لكني لم ار احدا يدخل الغرفة ؟ » .

اجابني : « هنالك باب آخر يدخلون منه » .

بقيت واقفا الى جواره نصف ساعة ، تابع خلالها وصول اعضاء اللجنة . ومضى الحارس عدة مرات الى البوفيه ليحضر لهم القهوة . وفي كل مرة كنت احاول اختلاس النظر داخل الغرفة ، لكن الحارس كان يحرص دائما على الا يكشف الباب عندما يفتحه الا عن فرجة يسيرة تسمح له بالدخول بعد ان يحشر نفسه خلالها دون ان تكشف لي عن شيء .

وفي احدى المرات برز الحارس من الغرفة وهو يحمل في يـده حـــذاء جاديا ، ونادى على ماسح احذية يقف في نهاية الردهة ، فاعطاه الحذاء . وعندما اراد هذا ان يجلس قرب الباب ، نهره الحارس واشار اليه ان يجلس بعيدا حيث كان يقف .

عاودت السير وانا انقل حقيبتي من يد الى اخرى . كنت متعبا لاني لم انم جيدا بالامس رغم تناولي لحبة منومة . ولهذا السبب كان هنالك صداع خفيف يحوم عند مؤخرة راسي ، ولم اكن قـــد حسبت حسابا لهذا الطارىء ، رغم اني لم افعل شيئا طوال العام الماضي كله سوى الاستعداد لاحتمالات هذا اليوم . ولم اجرؤ على مغادرة مكاني للبحث عن اسبرين خوفا من ان تستدعيني اللجنـــة فجـاة .

اقتربت أثناء سيري من مكان ماسح الاحذية الذي اقتعد الارض وجعل ينظف بحماس حذاء اللجنة. (هكذا اسميته في سري واعجبتني التسمية حتى اني ابتسمت) ، وادهشني انه يطلي النعل الخارجي للحـذاء .

استدرت عائدا الى حيث يجلس الحارس فوضعت حقيبتي الى جواره على الارض ، وناولته سيجارة ثم اشعلت واحـــدة ، وبقيت الى جواره ادخن . ولم يلبث الماسح ان انتهى من تلميـــع الحذاء فاحضره الى الحارس الذي تناوله بعناية وحمله الى داخل الغرفة بعد ان اغلق الباب من خلفه . وظهر بعد قليل وهو يحمل صينية امتلات بفناجين القهوة الفارغة ، فحملها الى البوفيه ثم عاد الى مكانه فوق الكرسي .

ولما كنت انا الوحيد الذي ستستقبله اللجنة اليوم ، لسبب

بسيط وهو انه حتى الان ، وقد اشرفت الساعة على الحادية عشرة والنصف ، لم ينضم الي احد ، فقد خطر لي انها تناقش امري الان . وكانت هذه فكرة مزعجة للغاية . لان معناها ببساطة ان اللجنة ستتوصل الى فكرة مبدئية بشاني ، واذا كانت هذه الفكرة سلبية ، وهو الاحتمال الغالب لاسباب عديدة ، فان ذلك من شانه ان يضيق من فرصة التاثير الذي يمكن ان احدثه عندما امثل امامها . كنت اعرف ان لديها تقارير كافية عني ، ومع ذلك فقد فهمت ان مصيري يتوقف على المقابلة القادمة . وليس معنى هذا اني الذي سعيت الى هذا اللقاء ، وانما قيل لي انه لا مندوحة من المثول امامها . ولهذا جئت .

وعند الظهر تماما ، دخل الحارس الغرفة ، ثم خرج على الفور وسالني عن اسمي . وعندئذ اشار الي بالدخول .

تناولت حقيبتي بيدي اليمنى ، وبيدي الاخرى تحسست رباط عنقي لاتاكد من انه في المكان الصحيح . ورسمت على وجهي ابتسامة واثقة ، ثم وضعت يدي على المقبض الابيض المصنوع من الخزف ، والذي تطلعت اليه عشرات المرات في غضون الساعات الثلاث الماضية ، وادرته دافعا الباب الى الداخل ، وولجت الغرفة.

وللوهلة الاولى ارتكبت غلطتين ..

ففي اضطرابي ، الذي جاهدت عبثا ان اخفيه ، نسيت أن اغلق الباب خلفي . وعندئذ سمعت صوتا نسائيا بالقرب مني يقول بلهجة رقيقة :

ـ « اغلق الباب من فضلك » .

اندفع الدم حارا الى وجهي ، واستدرت الى الباب ، فامسكت مقبضه بيدي اليسرى ودفعته الى الخارج ، لكنه لم ينغلق .

كان المصراع قديما يتطلب اغلاقه قليلا من الضغط وكانت يدي اليمنى مشغولة بالحقيبة ، فاستخدمت ركبتي للضغط على الباب ، بينما تصبب العرق على جبيني .

عندئذ سمعت نفس الصوت النسائي الرقيق يقول :

ـ « ضع الحقيبة على الارض واستخدم يديك الاثنتين » .

وادركت اني خسرت الجولة الاولى .

كنت اعرف ان اللجنة ستوجه الي بعض الاسئلة . لكن هدفها لم يكن قاصرا على تبين مدى معلوماتي ، وانما كان يمتد ايضا الى استكناه مفاتيح شخصيتي وحجم قدراتي الذهنية . فمضمون الاجابة ليس هو كل شيء ، رغم ما له ايضا من وزن ، والاهم منه هو القدرة على المواجهة .

وكما سبق ان قلت ، فقد قضيت العام الماضي في الاستعداد لهذا اليوم بشتى السبل . فعكفت على دراسة اللغة التي تستخدمها اللجنة في مقابلاتها ، وراجعت معلوماتي في مختلف المجالات ، فقرات في الفلسفة والفن والكيمياء والاقتصاد . ووجهت الى نفسي عشرات الاسئلة المتباينة ، وانفقت اياما وليالي في البحث عن اجاباتها . وتابعت برامج الذكاء والفوازير التي يذيعها التلفزيون ، وراجعت الابواب المماثلة في الصحف والمجلات . واسعفني الحظ عندما اكتشفت ان اخي ، الذي يكبرني بعشرين عاما ، يحتفظ لديه في حزمة يضمها خيط من المطاط ، بمجموعة « صدق او لا تصدق » الكاملة ، منذ بدا نشرها قبل ثلاثين عاما .

ولم اكتف بهذا ، فحاولت ان اكون فكرة واضحة عن عمل اللجنة ، فبحثت عمن مثلوا امامها من قبل . لكن القليلين الذين توصلت اليهم ، كانوا قد نسوا تفصيل ما جرى معهم ، وبدت ذكرياتهم متضاربة . ولم تساعدني المعلومات الاخرى التي جمعتها من مصادر مختلفة على استخلاص شيء . الامر الوحيد الذي خرجت به هو انه ليس ثمة قاعدة محددة لعمل اللجنة .

وحاولت ان اجمع المعلومات عن اعضائها ، لعلي استطيع تكوين فكرة عن اتجاهاتهم وميولهم ، لكن ستارا من السرية المحكمة اسدل على اسمائهم ومهنهم . وكل من سالته عنهم كان يتطلع الي في اشفاق.

لكن الجميع اجمعوا على ان اللجنة تنصب شراكا ماهرة لكل من يمثل امامها . ومعنى هذا ان حكاية الباب واغلاقه لم تكن مصادفة . فهي قد كشفت لهم ، والمقابلة لم تبدأ بعد ، عن ارتباكي وقلة حيلتي.

ولكم ان تتصوروا حالتي بعد هذه التجربة الفاشلة ، وقد وقفت امامهم غارقا في عرقي . لكن اغرب ما في الموضوع انني لمست في اعماقي شعورا بالارتياح لهذا الفشل . كانما كان ثمة جزء من نفسي يخشى على نفسه من نجاحي . ولم يحل ذلك دون اضطرابي او رغبتي الجارفة في كسب رضاء اللجنة .

كان عدد اعضاء اللجنة كبيرا حقا . وكانوا يجلسون في صف واحد الى مائدة طويلة تمتد بعرض الحجرة . ولاني كنت عاجزا عن التركيز فلم اتمكن من احصاء عددهم بالضبط . وكان بعضهم منهمكا في احاديث جانبية هامسة ، والبعض الاخر يتصفح اوراقا امامه . واغلبهم يضع عوينات سوداء كبيرة على عينيه . ومع ذلك امكنني التعرف على بعضهم من الصور التي تظهر بالصحف والمجلات . واكتشفت ايضا اني اعرف صاحبة الصوت الرقيق ، فهي عانس التقيت بها عدة مرات . ولمت نفسي لاني لم اولها شيئا من الاهتمام. وكانت تتطلع الي بابتسامة خلت انها ودية .

ولم ادهش عندما رايت بينهم اثنين من العسكريين . وكانت الشرائط الحمراء الموشاة بالذهب فوق ياقتي سترتيهما تدل على رفعة شانهما .

وكان يتوسطهم عجوز متهالك ، يرتدي عوينات طبية سميكة ، يحاول ان يقرا بها ورقة قربها من عويناته حتى كادت تلمسها . وقدرت ان هذه الورقة تنتمي ولا شك الى الملف الخاص بي .

فرغ العجوز من القراءة ، فوضع الورقة على المائدة واستدار بوجهه ناحية اليسار ثم ناحية اليمين ، فادرك زملاؤه ان الجلسة بدأت ، وكفوا عن الكلام وهم يسلطون نظراتهم عليّ .

تعلقت عيناي بشفتي العجوز . وبدا وجهه الشاحب ابعد ما يكون عن الحياة . خاطبني قائلا : « في بداية هذا اللقاء ، احب ان اسجل تقديري الذي يشاركني فيه زملائي ، لاختيارك المجيء الينا . وليس معنى هذا اننا سناخذ بوجهة نظرك . فهذا امر يتوقف على اشياء كثيرة ، ونحن هنا اليوم لنحسمه . انما ما اردت ان اوضحه هو ان المثول امام لجنتنا ، كما يعلم الجميع ، ليس اجباريا . ففي هذا العصر يتمتع كل انسان بحرية تامة في الاختيار . ويعكس اختيارك هذا قدرا كبيرا من سلامة التفكير ونفاذ البصيرة . وهو

مؤشر هام سناخذه في اعتبارنا عندما نبحث حالتك . الا اننا نود ايضا ان نسمع منك وجهة نظرك في هذا الشان » .

كنت اعرف ممن وقفوا امام اللجنة من قبل ، ومما سمعته من مختلف المصادر ، ان الشيء الوحيد المؤكد في عملها ، هو سؤال طبيعي يوجه الى كل من يقف امامها عن الاسباب والدوافع التي اتت به اليها . ولهذا السبب اعددت الاجابة على هذا السؤال مقدما .

وكنت قد توقعت ان تكون اللجنة على ادراك بانني سافعل ذلك ، ولهذا فكرت طويلا قبل ان استقر على الاجابة الضرورية . فلم اشا ان اقدم اليهم اجابة مبتذلة سمعوها من قبل ، هدفها الظاهر هو تملقهم ، وانما قررت ان اقدم اليهم اجابة متميزة ، تبدو بسيطة وتلقائية، كانما فوجئت بالسؤال، وتنطق بشيء من الامانة والصدق، اعطي فيها صورة دقيقة عن نفسي ، دون ان اتورط في الحديث عن اشياء معينة ، مثل الدوافع الحقيقية لبعض الافعال ، وانما اشير الى هذه بطريقة تخلي مسؤوليتي عن كل ما من شانه ان يسيء الي ، وتجعلهم يستنتجون ما اتصور انه سيلقى قبولا لديهم .

وكانت تلك في الواقع مهمة شاقة للغاية ، بالنظر الى ما لديهم من وسائل خاصة وامكانيات واسعة تتيح لهم معرفة كل شيء عني .

بلعت ريقي عدة مرات ثم شرعت اتكلم ، وخرج صوتي خافتا ، فمال العجوز الى الامام واضعا يده على اذنه اليمنى وقال :

« عفوا . اني لا اسمع جيدا باحدى اذني ، فهل لك ان ترفع صوتك ؟ » .

اذعنت لطلبه ومضيت اقدم لهم الاجابة التي اعددتها من قبل . وغني عن البيان اني نسيت جزءا كبيرا منها بسبب اضطرابي من ناحية ، وصراعي مع لغتهم كي لا ارتكب اخطاء فادحة في قواعدها ، من ناحية اخرى .

المهم اني رسمت لهم صورة عامة لنشاتي ، والمسار الذي اتخذه تطور حياتي وفقا لظروف لم يكن لي فيها خيار كبير ، وان كنت مسوقا ايضا باحلام عريضة ، وبالرغبة في تنمية مواهبي واستغلالها على احسن وجه . ولم يفتني ان انوه بالمثل والمبادىء الاخلاقية التي كنت استرشد بها .

وانتقلت بعد ذلك الى المحنة التي تعرضت لها والتي عرضتني للمرض ، وقلت انها في الغالب نتيجة للتباين الشاسع بين طموحاتي وقدراتي الحقيقية ، وهي ما جعلتني اضيق ذرعا بكل شيء ، ولم يعد امامي من مخرج سوى ان اغير حياتي تغييرا تاما .

واشفعت حديثي بحركة مسرحية تدربت عليها من قبل ، اذ تناولت حقيبتي وفتحتها ، ثم اخرجت منها مجموعة من الشهادات التي حصلت عليها من مصادر مختلفة ، تنوه بكفاءاتي ، وتثبت صحة المعلومات التي قدمتها عن نفسي .

ولما كانت اغلب هذه المواد باللغة العربية ، فقد انطلقت اتحدث عنها بلغة اللجنة ، فاستمعوا الي باهتمام وهم يتصفحون الاوراق التي وضعتها امامهم . لكني لاحظت ان العضو الجالس الى يسار العجوز ، وهو اشقر الشعر ملون العينين ، لم يعبا بهذه الشهادات وانهمك في تصفح ملف يضم ولا شك التقارير السرية بشاني .

رفع عضو قصير القامة قبيح الوجه راسه نحوي ، وكان يجلس الى يمين الرئيس العجوز ، بينه وبين احد العسكريين ، وقال في لهجة عدائية :

« انا لا استطيع ان افهمك . فانت فيما يبدو قطعت شوطا بعيدا . وها انت في هذا السن تسعى وراء بداية جديدة . الا تظن ان الوقت قد فات لذلك ؟ » .

اجبته بلهفة : « ان الكثيرين يبداون حياة جديدة بعد الاربعين . ثم انها ليست بداية جديدة بمعنى الكلمة ، وانما هي تتويج للبداية القديمة ، واستثمار شامل للامكانيات المختلفة التي املكها ، ومن زوايا عديدة يمكن اعتبارها تطورا طبيعيا لشخصيتي » .

همهم القصير غاضبا . وعجبت لحقده علي . احسست احساسا مبهما ، اني اثرته عندما ابرزت مواهبي ودللت عليها بالشهادات الصادرة عن جهات محترمة ذات نفوذ .

وتتبعت هذا الخط من التفكير ، فقدرت انه ربما وقف موقفي في صدر شبابه ، واجازته اللجنة ، لكنه فشل في مهمته ، وانتهى به الامر الى ان يكون مجرد عضو من اعضائها . ذلك انه بالرغم من خطورة اللجنة وضخامة نفوذها ، فان البعض ، وانا منهم ، يعتبرون عضويتها دليلا على نضوب الموهبة والفشل التام .

رايته يخط بقلم احمر على ورقة امامه ، ثم مال على الرئيس العجوز وهمس له شيئا في اذنه اليسرى التي تجيد السمع ، وهو يناول الورقة للرجل القصير .

خاطبني الرئيس في لهجة حازمة :

« لقد استمعنا منك الى حديث طويل عن مواهبك وقدراتك . لكن لدينا هنا تقرير سري يقول انك لم تتمكن من ممارسة الجنس مع سيدة معينة . والتقرير لا تشوبه شائبة ، فقد رفعته نفس السيدة التي تعرضت لهذا الموقف . فما تفسيرك له ؟ » .

اخذني هذا السؤال على غرة ، وشعرت بالحيرة ، لان هذا الطارىء لم يعرض لي مع سيدة واحدة فقط ، وانما مع عدد منهن ، ولاسباب مختلفة . ولما كانت اللجنة دقيقة في عملها فلا بد ان تكون اجابتي محددة . وكيف يكون ذلك وانا لا اعرف السيدة التي يعنيها؟

وكان العضو القصير ، بدافع من حقده علي ، هو الذي انقذني من الاجابة ، فلم يملك نفسه وصاح :

« ربما كان عنينا » .

لكن ذا الشعر الاشقر لم يشاطره الراي ، فقد انحنى على اذن الرئيس السليمة وهو يقول :

« هو في الغالب ...... » ولم اسمع الباقي ، وان لم اجد صعوبة في تخمينه .

اشار لي صاحب الشعر الاشقر ان اقترب بحيث اقف امامه ، ثم امرني بان اخلع بنطلوني ، ففعلت . ووقفت امامهم بسروالي الداخلي القصير والحذاء والجورب .

وضعت بنطلوني على حافة مقعد فارغ ، ثم مددت يدي الى سروالي الداخلي متسائلا :

« وهذا ايضا ؟ »

اوما الاشقر برأسه فخلعت السروال ووضعته فوق البنطلون ، بينما استقرت انظار اعضاء اللجنة على الجزء العاري من جسدي يتاملونه باهتمام .

ولم يلبث الاشقر ان طلب مني أن استدير واعطيه ظهري . ثم امرني أن انحني . وشعرت بيده على اليتي العارية . وامرني ان اسعل . وعندئذ شعرت باصبعه داخل جسدي .

تكلمت احدى السيدات وهي عجوز وقور ، كانت تجلس في اقصى اليسار الى جوار رجل بدين يرتدي سترة بيضاء ويضع ساقا على ساق رافعا رأسه الى أعلى محدقا في السقف كأنه ليس معنا . سالتني :

« هل تعرف الرقص ؟ »

اجبت : « اجل ، بالطبع » .

« ارنا اذن » .

سالته : « اي انواع الرقص ؟ »

وادركت اني اخطات بالسؤال . اي نوع من الرقص حقيقة ! كما لو كان ثمة غيره .

تصرفت بسرعة وبراعة طمعت في أن تشهدا لصالحي . فعندما لم أجد ما احزم به وسطي ، خلعت رباط عنقي ، وعقدته حول خصري فوق عظام الحوض مباشرة ، حيث يتمتع الجسم بمرونة بالغة ، وراعيت ان اجعل العقدة على جانب ، كما تفعل الراقصات المحترفات ، وسرعان ما اكتشفت ان لهذا الوضع ميزة كبرى ، فهو يكاد يفصل الجزء الاعلى عن الاسفل ، ويعطي لكل منهما قدرة كبيرة على الحركة المستقلة .

انطلقت اهز وسطي وانا ارفع كعبي قدمي قليلا عن الارض ، متطلعا اليهما من فوق كتفي ، بينما اشرعت ذراعي الى اعلى وشبكت يدي فوق رأسي . ورقصت في حماس بعض الوقت ، بل حاولت ان اطرقع باصابع يدي ، بعد ان ضممت سبابتيهما . وكنت منهمكا في ذلك فلم أعرف انطباع الاعضاء .

تكلم الرئيس الذي لا يسمع ولا يرى فجأة قائلا وهو يلوح بيده : « كفى » .

عندئذ مال احد العسكريين ، الذي كاد وجهه يختفي تماما خلف عوينات سوداء كبيرة وخاطبني قائلا :

« اننا نعرف من الاوراق التي لدينا كل شيء تقريبا عنك . لكن ثمة شيء واحد لا نعرفه وهو اين كنت في ذلك العام . فهل لك ان تخبرنا ؟ » .

تشاغلت بنزع رباط عنقي عن خصري وعقده حول رقبتي وانا افكر بسرعة في العام الذي يعنيه . ففي حدود معلوماتي بلغة اللجنة ، لم يكن اسم الاشارة الذي استخدمه يشير الى العام الذي نحن فيه . وطالما انه لم يذكر عاما بعينه ، فلا بد انه تعمد ذلك ، وبهذا يكون الامر شركا نصب لي ، خاصة واني لا اتصور ان يكون ثمة نقص في التقارير المرفوعة عني .

لم يكن بوسعي ان استفسر عن العام الذي يقصده ، والا اكون قد وقعت في الفخ . وتعين علي ان احدده بمفردي وباسرع ما يمكن .

بدت لي المسألة صعبة للغاية ، وقررت ان المخرج الوحيد هو ان استبعد بعض الاعوام المحتملة مثل ٤٨ و٥٢ ، على اساس عمري في ذلك الحين ، وبذلك اضيق دائرة البحث . بقيت امامي اعوام ٥٦ و ٥٨ و ٦١ و ٦٧ . وقبل ان يتنابني اليأس خطرت لي اجابة موجزة لا تبعد عن الحقيقة كثيرا وان كانت غير دقيقة .

قلت : « في السجن » .

❋ صنع الله ابراهيم ❋

- من مواليد القاهرة ، ١٩٣٥ .
- لم يكمل دراسته بكلية الحقوق بجامعة القاهرة اذ اعتقل في كانون الاول ١٩٥٩ وحكمت عليه المحكمة العسكرية العليا بسبع سنوات سجن امضاها متنقلا بين سجون ابي زعبل والقناطر والواحات حتى اصدر جمال عبد الناصر قرارا بالعفو عن المعتقلين والمسجونين السياسيين في نيسان ١٩٦٤ .
- كتب مع اثنين آخرين كتاب « انسان السد العالي » الذي اصدرته الدار القومية للتوزيع والنشر في القاهرة في كانون الثاني ١٩٦٥ .
- كتب اول رواية له « تلك الرائحة » عام ١٩٦٥ وقد صودرت في العام نفسه ، ثم صدرت من بيروت بعد ذلك .
- اشترك في تأسيس « غاليري ٦٨ » ، وهي مجلة حرة للمثقفين المصريين .
- اصدر رواية « نجمة اغسطس » عن السجن والسد العالي وغيبة الدمقراطية في ظل الحكم الوطني . واهدى الرواية الى الشهيد الوطني « شهدي عطية الشافعي » ، وقد اصدرتها له منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق ، واعتبرها النقاد العرب واحدة من اهم الروايات المصرية الحديثة .
- اشترك في ادارة « دار الثقافة الجديدة » المصرية .
- كتب رواية طويلة للاطفال تصدر قريبا بعنوان « العنكبوت » .
- درس الاخراج السينمائي لمدة سنتين في موسكو .

ويبدو ان اجابتي ، على ايجازها ، كانت مفحمة ، فلم يسألني أحد شيئا ، وتبدد جانب من الجو العدائي الذي جابهني في البداية ، او هكذا خيل لي . وان كنت قد احترت في تفسير النظرة التي

لمحتها في العينين الملونتين للعضو الاشقر . وهيىء لي ان بها شيئا من السخرية .

اعتدلت واقفا بعد ان سحب الرجل اصبعه وعدت اواجههم فرأيت الرجل الاشقر يتطلع الى الرئيس قائلا في انتصار :

« الم اقل لك ؟ » .

ابتسم العجوز المتهالك لاول مرة ، وانطلق جميع الاعضاء يتكلمون في وقت واحد . وساد الهرج القاعة ، فلم اتبين شيئا مما يقولون . واخيرا دق الرئيس على المائدة بقبضة يده ، فتوقف الكلام . وعندما هدأت الضجة تماما خاطبني قائلا :

« ان القرن الذي نعيش فيه هو بلا شك اعظم عصور التاريخ سواء من حيث ضخامة وقائعه وعددها ، او من حيث الآفاق التي تنتظره في المستقبل . فباي شيء من هذه الوقائع ، كالحروب والثورات والابتكارات ، سيذكر قرننا في المستقبل ؟ » .

رحبت بهذا السؤال رغم صعوبته ، لانني وجدت فيه فرصة لاستعراض معلوماتي في موضوعات محببة لدي .

قلت : « هذا سؤال قيم . وبوسعي ان اذكر امورا كثيرة ذات خطر » .

تدخل الرجل الاشقر موضحا : « اننا نريد امرا واحدا ، ولا بد ان تكون له صفة العالمية سواء من حيث ماهيته او دائرة نفوذه ، فضلا عن قدرته على تجسيد المعاني السامية والخالدة لحضارتنا » .

ابتسمت وانا اقول : « وهنا وجه الصعوبة يا سيدي . فمن الممكن ان نذكر مارلين مونرو . لان هذه الفاتنة الامريكية كانت حدثا عالميا حضاريا بمعنى الكلمة . لكنه حدث عابر ، ولى امره وانتهى . فمقاييس الجمال تتغير كل يوم على يد اشخاص موهوبين مثل ديور وكاردان . والكائن الانساني نفسه فان . وهي خاصية تنأى بنا عن اختيار البترول العربي الذي سينضب بعد سنوات قليلة . ويمكن ان نذكر غزو الفضاء سوى انه لم يتمخض بعد عن شيء ذي قيمة . ونفس المعيار يجعلنا نستبعد الكثير من الثورات . وربما خطر لنا ان نتوقف عند فيتنام ، وهو ما لا احبذه لما سيجرنا اليه ذلك من مداخلات ايديولوجية لا ضرورة لها .

اقول كل هذا لانكم طلبتم امرا سيذكر به قرننا في المستقبل . اولا يتم ذلك بصورة افضل اذا ما وجد الشيء نفسه في المستقبل ليكون تذكرة دائمة بنفسه ؟

وهذا يقودنا للبحث في اتجاه آخر . وسنعثر بغير صعوبة على الطريق السليم . لكنه للاسف طريق طويل مزدحم ، كالطريق المؤدي الى المطار ، بلافتات كثيرة تحمل اسماء مثل فيليبس ، توشيبا ، جيليت ، فورد ، ميشلان ، شل ، كوداك ، وستنغهاوس ، نسلة ، مارلبورو .

واظنكم توافقونني ايها السادة ، على ان العالم كله يستخدم الابتكارات التي تحمل هذه الاسماء . كما ان الشركات العملاقة التي تنتجها تستخدم العالم بدورها ، فتحول العمال الى آلات والمستهلكين الى ارقام ، والاوطان الى اسواق . وهي بذلك نتاج ذو خطر لمنجزات قرننا العلمية والتكنولوجية . كما انها غير معرضة للفناء او النضوب ، فقد وجدت لتبقى .

« فايها اذن نختار ؟ » .

توقفت لحظة محسوبة وانا اتطلع اليهم . ثم اجبت بطريقة مسرحية :

« ولا واحدة ! » .

سرت همهمة بين الاعضاء فتجاسرت ورفعت يدي قائلا :

«مهلا ايها السادة . لم اقصد اني عاجز عن الاجابة على سؤال لجنتكم الموقرة ، وانما اردت ان اقول ان الاجابة ليست فيما ذكرت لكم من اسماء» .

توقفت لحظة ثم استطردت :

« اني اختار ايها السادة كلمة اخرى مكونة من مقطعين هي .. كوكا ـ كولا » .

انتظرت ان اسمع تعليقا ما يتبين منه رد فعل اللجنة لاجابتي ، لكن الصمت ران عليهم . عندئذ مضيت في حديثي :

« لن نجد ، ايها السادة ، بين كل ما ذكرت شيئا تتجسد فيه حضارة هذا القرن ومنجزاته بل وآفاقه ، مثل الزجاجة الصغيرة الرشيقة التي يتسع است كل انسان لرأسها الرفيعة » .

ابتسمت لهم منتظرا ان يشاركوني الابتسام لمحاولتي في الفكاهة، لكنهم ظلوا يتطلعون الي في جمود فاستطردت :

« انها موجودة في كل مكان تقريبا ، من فنلندة والاسكا في الشمال الى استراليا وجنوب افريقيا في الجنوب . ولقد كان نبأ عودتها الى الصين بعد انقطاع ثلاثين عاما ، من الانباء المدوية التي يصاغ منها تاريخ قرننا . والى جانب هذا فان المادة التي تصنع منها لا يهددها شيء بالنضوب ، والذوق الذي يستسيغها لن يتحول عنها بفضل ما تتميز به من قدرة على تكوين عادة تقرب من الادمان .

اما فيما يتعلق بما لها من خطر ، فانني احيلكم ايها السادة الى المقال الذي نشرته جريدة « الموند ديبلوماتيك » الفرنسية المعروفة في عدد نوفمبر ـ تشرين الثاني عام ١٩٧٦ وذكرت فيه ان رئيس شركة الكوكا ـ كولا هو الذي اختار ، بالاشتراك مع عدد آخر من رؤساء الشركات الامريكية الضخمة ، جيمي كارتر كي يكون مرشحا لرئاسة الولايات المتحدة قبل ان يصبح كذلك بالفعل بزمن طويل . ويقول المقال ، الذي قرأتموه ولا شك ، ان رؤساء الشركات المذكورة كونوا لجنة من عشرة سياسيين ـ بينهم الرئيس الامريكي نفسه ونائبه والتر مونديل ـ تمثل الفرع الامريكي لما يسمى « باللجنة الثلاثية » التي اسسها عام ١٩٧٣ دافيد روكفلر وتولى ادارتها حتى فترة قريبة جدا ، البروفيسور زبغنيو بريجنسكي ، مستشار الامن القومي الرئيس الامريكي . اما لماذا سميت اللجنة بالثلاثية فلانها تجمع امريكا الشمالية واوروبا الغربية واليابان في هدف محدد هو مواجهة العالم الثالث وقوى اليسار في اوروبا الغربية .

« واذا كان هذا هو نفوذها على اكبر واغنى دولة في العالم ،



● هذه القصة المصرية الحديثة جدا ، ارجائها كفكاوي رهيب ،تعكس جانبا من الواقع كفكاوي رهيب ، تعكس جانبا من الواقع المصري التعيس بعد « مبادرة » السادات التعيسة وتغلغل النفوذ الامبريالي - الصهيوني في اوساط النظام الحاكم في مصر الحبيبة .. بيد انها غيمة عابرة حتما ! ●

فاكم ان تتصوروا وضعها في بلدان العالم الثالث ، وخاصة بلادنا نحن الصغيرة الفقيرة . »

« والواقع ان من حقنا ان نصدق ما يقال عن ان هذه الزجاجة البريئة المظهر ، تلعب دورا حاسما في اختيار طريقة حياتنا ، وميول اذواقنا ، ورؤساء بلادنا وملوكها ، بل والحروب التي تشترك فيها ، والمعاهدات التي نوقعها » .

خيل الي ان الوجوم سيطر على اللجنة ، وقدرت ان السبب ربما يعود الى اني اطلت الحديث أكثر مما يجب ، لكني لم ألبث ان احسست احساسا مبهما باني « قد وطات قدم احدهم » ، وهو تعبير دارج في اللغة التي تستخدمها اللجنة وتستعمل للدلالة على الشخص الذي يرتكب اساءة او خطا عن غير قصد .

كنت ما ازال مجردا من بنطلوني وسروالي الداخلي . وجعلني هذا اشعر اني عار تماما امام اللجنة ، ليس فقط بالمعنى المادي للكلمة ، وانما بالمعنى المجازي ايضا ، وانني تحت رحمتهم تماما .

لكن اغرب ما في الامر ، ان الدقائق الاخيرة امدتني باحساس مبهم باني استطيع ان اوجه اليهم ضربة ما ، او ان ارد لهم ضربتهم بصورة ما .

تنحنح الرجل القصير الذي صرت ابادله الكراهية ، وبعد ان التفت للعجوز مستاذنا ، خاطبني بلهجة متكلفة :

« ان اجابتك المستفيضة تكشف عن سعة اطلاعك في الشؤون المعاصرة . ونحن نتمنى ان نكون على نفس القدر من السعة

(وهنا لم أملك نفسي من الابتسام) بالنسبة القضايا التاريخية » .

التمعت العينان الملونتان الرجل ذي الشعر الاشقر وقال لزميله القصير :

« اذا سمحت لي » .

ثم اتجه الي قائلا : « سنختبر هذه النقطة حالا . وليكن الهرم الاكبر موضوعنا . فلا يساورني شك في انك تتمنى الجلوس فوق قمته. على ان لك مطلق الحرية في اختيار الزاوية التي تريد الحديث عنهـا » .

للوهلة الاولى فرحت ، فها هو موضوع اعرفه جيدا بحكم مصريتي ، واستطيع ان اصول واجول فيه الى الصباح . لكن قلبي سرعان ما حدثني بان هناك شركا كبيرا ينتظرني ، وتضرعت الى الله ان يلهمني كي اتجنبه وازيل ايضا الاثر السيء الذي احدثته كلمتي السابقة . ولم يلبث الله ان استجاب لدعائي ، فانار بصيرتي ، وانطلقت اتكلم بثقة وطمانينة :

« ان المجموعة المعمارية المؤلفة من الاهرامات الثلاثة وابو الهول ، والتي شيدت قبل خمسة الاف سنة ، ما زالت تمثل لغزا من الالغاز التي تتحدى العقل الانساني ، وتشهد بعبقرية اصحابه .

« وكلنا ولا شك تابعنا المحاولة الاخيرة التي قام بها العلماء الامريكان ، واستخدموا فيها اجهزة الكترونية متقدمة ، ولم تسفر عن شيء .

« ولا زال العلماء مختلفين في الغرض من اقامة الاهرامات وكيفية بنائها . فمنهم من رأى انها شيدت لتكون مراصد لتسجيل ما حدث والتنبؤ بما سيحدث . ويقول دافيد سون ان السطوح الخارجية للهرم الاكبر صممت بحيث تعكس الضوء ، وبذلك يكون الهرم بمثابة مزولة شمسية تعين مواعيد البذار والحصاد .

« وهناك بالطبع الاحتمال الاغلب وهو تخليد اسماء الملوك والمحافظة على جثثهم . فلا شك ان الغرض الواضح من بناء الاهرامات هو ان تكون بمثابة مقابر خالدة . وان كان خوفو قد نجح في تخليد اسمه اكثر من اي ملك آخر في التاريخ ، فان الغرض الاساسي من بناء الهرم وهو المحافظة على جثته لم يتحقق ، لانها اختفت رغم الشبكة الداخلية المتقنة من الممرات والغرف التي اخفيت عمدا اثناء انشاء الهرم .

« أما ادمز ، فله رأي آخر طريف يستند الى كتاب الموتى ، يتحدث عن بناء قد يتألف من ممرات ومخادع . ويقول آدمز ان كلا من الاهرام وكتاب الموتى يعيدان لنا من جديد نفس البناء الاصلي ، احدهما يفعل هذا بالكلام ، والثاني بالحجارة .

« والواقع ان الوظائف الداخلية والخارجية البناء مترابطة ، فالممر العلوي وضع تصميمه كي يخلد رسم هذا الترابط ، وخواصه الهندسية ، الامر الذي يؤكد انه بني لتخليد شيء آخر غير مجرد اسم الملك الذي شيده او جثته .

« ونحن نعرف من هيرودوت ان الاحجار المستخدمة في بناء الهرم الاكبر كانت تنقل بواسطة نهر النيل ثم عبر طريق بناه مائة الف عامل في عشر سنوات ، وبعد ذلك ترفع من درجة الى اخرى في البناء بواسطة روافع مصنوعة من قضبان قصيرة .

« لكن العلماء ما زالوا في حيرة بشان هذا البناء الهائل ، فليس من دليل على ان المصريين استخدموا في اي عصر من عصور تاريخهم اية اجهزة ميكانيكية عدا الرافعة والبكرة والمنحدر المائل . ولهذا يميل الكثيرون الى الاعتقاد بان ضخامة البناء ودقته تقطعان بان وسائل ميكانيكية سرية ، ضاع سرها ، وقد استخدمت في اتمامه . وربما كان هذا مبعث الخلاف الناجم بشان دور الاسرائيليين في بنائه. فالبعض يقول ان خوفو نفسه كان من ملوك بني اسرائيل في الحقيقة، وقد اخفى ذلك طبقا لتقاليد هذا الشعب ، الذي اجبره الاضطهاد المتواصل منذ فجر التاريخ على ان يتسلح بالسرية التامة في كل اموره . والبعض الاخر يقول ان خوفو لم يكن سوى فرعون مصري ، وانه استعان بالعبقرية اليهودية لحل المشاكل المعقدة التي طرحها بناء هذه الاعجوبة المعمارية .

« وكما سبق ان اشرت ، فان الخواص الهندسية الهرم الاكبر تدل على دراية وافرة بعلم الهندسة وقدرة فائقة على الابتكار والابداع . وهما امران لم يتوفرا بالطبع لدى المصريين ، ولهذا فمن الارجح ان يكونوا قد استعانوا بالخبرة الاجنبية الاسرائيلية ، وان كان ثمة من يؤكد ان الاسرائيليين كانوا عبيدا لخوفو ، وان هذا الملك المستبد ارغمهم على العمل في بناء الاهرام . وهذه النقطة بالذات محل مناقشة ، فاذا كان من الصعب انكار الطابع الاستبدادي لفراعنة مصر على مر الزمن ، فمن العسر ان نتصور ان بناء بهذه العظمة والدقة يمكن ان يكون وليد السخرة ، والاقرب الى التصديق ان يكون وليد ايمان عميق بديانة تضع الفرعون على قمة الوجود .

« وهذا ما يؤدي بنا الى تفضيل النظرية القائلة بان خوفو نفسه كان من الملوك السريين لبني اسرائيل ، خاصة واننا نعرف المهندس الذي اشرف على بناء الهرم ويدعى حم – ايونو ، وهو ابن عم خوفو نفسه .

« وفي كافة الحالات ، فان هذا البناء الهائل الذي يتكون من مليونين وثلاثمائة الف قطعة من الحجر ، شاهد على عبقرية الاسرائيليين . فهناك ما يدل على ان المناشير النحاسية التي يبلغ طول الواحد منها تسعة اقدام ، قد استخدمت في قطع الكتل الحجرية الكبيرة ، التي اذا قطعت اليوم الى قطع صغيرة بطول قدم لكل منها ، ووضعت بجانب بعضها لامكنها ان تغطي ثلثي المسافة حول الارض عند خط الاستواء .

« والمؤكد ايضا ان المثاقب الانبوبية الشكل استخدمت في تفريغ الكتل الحجرية . والحق ان الثقوب الحديثة لا تداني في الدقة والكمال تلك التي ثقبها الاسرائيليون منذ خمسة آلاف عام .. وهي معجزة حقيقية » .

شعرت ان التوتر الذي كان يسود الحجرة قد تلاشى ، وان الجو المعادي لي قد خف كثيرا . وكان اعضاء اللجنة قد استمعوا لي في اهتمام شديد ، حتى ان الرجل البدين الذي يجلس في الطرف انزل عينيه لاول مرة من السقف وصوبهما الي . وعندما انتهيت رمقني العسكري الثاني بنظرة رضى اسعدتني . ودبت الحركة في الاعضاء فانهمكوا في احاديث هامسة . وعندئذ لاحظت ان الجزء الاسفل من جسمي ما زال عاريا ، فتناولت سروالي الداخلي في تردد ، وعندما لم يستوقفني احد ارتديته على عجل ثم اشفعته ببنطلوني .

وبدا انهم قد استقروا اخيرا على رأي تولى الرجل ذو الشعر الاشقر ابلاغه للرئيس عبر اذنه السليمة ، فقال لي هذا وهو يشير الى الاوراق التي وضعتها امامهم فوق المائدة :

« يمكنك ان تاخذ هذه الاشياء الان . لم تعد لدينا اسئلة . وعندما نتوصل الى قرار بشانك سنحيطك به علما » .

جمعت اوراقي وانا احاول ان ابدو واثقا من الحكم الذي سيصدرونه . لكني كنت احس باضطراب شديد في اعماقي ، وكنت اقوم بحركاتي دون وعي ، فوضعت الاوراق في الحقيبة بغير نظام ، ثم اغلقتها وتناولتها في يدي اليسرى (اذ تذكرت ما حدث لي في بداية الجلسة) . وانحنيت امام اعضاء اللجنة دون ان انبس بكلمة ثم اتجهت الى الباب فادرت مقبضه بيدي اليمنى ، وسررت لانه استجاب ليدي في يسر وانفتح ، فغادرت الغرفة ، ولم انس ان اغلق الباب من خلفي ، ووضعت الحقيبة على الارض ثم اشعلت سيجارة في لهفة .

وكنت اعرف اني لن اعرف طعم النوم ، او راحة البال ، حتى تصدر اللجنة قرارها النهائي بشأني .

القاهرة ١٠ ابريل / نيسان ١٩٧٦

ترجمة : فوزى العنتيل

* ميلكوش رادنوتى *

انـهـض

مجنون من ينهض ...
ويعود فيمشى ثانية من بعد سقوطه
لكن مثل الألم التائه
تتحرك ساقاه ..
ويتابع سيره ،
وكأن هنالك أجنحة .. حماته
دعاه .. مصرف المياه
لكنه لم يجد الجرأة للقبول (١)
لم يرض هذى الميتة الذليلة
وربما يقول ان سألته :
زوجته هناك فى انتظاره
أو ان موتا رائعا .. أفضل فى انتظاره
لكنما هذا الغبى .. لا يعى
فها هنا ، منذ سنين غبرت
ريح الحريق دومت فوق البيوت
واضطجع الجدار للوراء
واقتلعت من جذرها شجيرة
الخوخ .
وامتلأت بالخوف ليلات الوطن
« فآه ، لو انى أقدر ان أتيقن
بأن الذى قد حملت بقلبى - ما كان وهما
كل الذى ما يزال جديرا بأننى أعيش له
وان هناك ما زال بيتى ، وأننى اعود اليه
لو ان هنالك بعض الاشياء من الماضى
ما زالت باقية حية .
الظل الوارف فى الشرفة
وطنين النحلة فى السلم
وانا أتنسم ريح مربى الخوخ
والصمت الغارق .. صمت نهايات الصيف
اذ يسبح فى البستان النعسان
وثمارا عارية تتأرجح
بين الاوراق الخضراء
وهناك « فنى » (٢) ، وهى ترقب عودتى
شقراء .. قدام السياج الاحمر
وخطى الصباح .. وهو يرسم ظله
متباطئا ..!
كل هذا .. ربما كان حقيقة
لم تزل .
والقمر :
هذه الليلة .. بدر مكتمل
يا صديقى : لا تدعنى
نادنى ، حتى ترانى .. قد نهضت ..!

* اعتقل النازى الكاتب خلال الحرب الثانية ، واطلق عليه الرصاص اثناء نقله الى احد المعسكرات ووجدت هذه القصيدة فى جيبه .

١ - كانت العادة القاء القتلى فى مصارف المياه .

٢ - زوجة الشاعر .

(سياحة ثقافية ـ بقية)

والذي بدا يتسم **بالواقعية** وعكس مشاكل المجتمع والتعرض لامراض المجتمع الناتجة عن طبيعته الراسمالية .

وقد كان امام هؤلاء الكتاب تراث طافح تركه إبسن وحارب من خلاله كل رذيلة بمفردها من رذائل المجتمع في مسرحية على حدة .. ولم يكن يجعل من مسرحيته مشجبا يعلق عليه الرذائل كلها :

ففي « **كوميديا الحب** » يفضح رجال الدين فيما يتواصون به من امور الحب والزواج .

وفي « **براند** » يصور لنا تضحية الزوجة بفلذة كبدها لكي يستمر زوجها في محاربة روح الضعف في نفوس الجماهير .

وفي « **بيرجنت** » نرى « **سولفيج** » الطيبة تفتح في صدرها عشا ياوي اليه البطل الحائر بعد طول ما ضرب في بيداء الحياة .

وفي «**رابطة الشباب**» يسخر ابسن من الساسة والسياسة الراسمالية وخاصة من خطط حزبي **المحافظين** و **الاحرار** .

وفي « **اعمدة المجتمع** » يفضح اساطين رجال الاعمال وما يجلبونه على المجتمع من شرور .

وفي « **اشباح** » يفضح رجال الدين مرة اخرى .

وفي « **عدو الشعب** » يفضح اولي الامر في احدى المدن وقبولهم التضحية بسعادة الالوف من البشر في سبيل الابقاء على مكاسبهم عاما او عامين حتى يعالجوا امر حماماتهم فلا تكون مصدر شر ومرض لمن يستشفون بها .

المصادر :

١ ـ د. شفيق مجلي ـ دراسات حديثة في الادب الانجليزي ، القاهرة ـ ١٩٧٢ .

٢ ـ يوسف عبد المسيح ثروت ـ معالم الدراما في العصر الحديث ، بيروت .

٣ ـ مجلة « الكاتب » المصرية ـ عدد حزيران ١٩٦٦ .

٤ ـ مسرحيات ابسن « بيت الدمية » ، « عدو الشعب » ، و « اعمدة المجتمع ».

شهرية المجلات

● عدد حزيران من «شؤون فلسطينية» ●

العدد ٩١ ، لشهر حزيران ، من مجلة «**شؤون فلسطينية**» ، الصادرة عن مركز الدراسات والابحاث الفلسطيني ، والتي يرئس هيئة تحريرها الشاعر محمود درويش ، يضم في محتوياته عددا من المقالات السياسية والتاريخية وبعض التقارير والشهريات الاخرى .

في مجال السياسة كتب **منح الصلح** مقالا حول معاهدة الصلح المنفرد المصرية ـ الاسرائيلية ، مستعرضا فيه تاريخية نهج السادات منذ عام ١٩٧٣ واعتبر ان « خطيئة » السادات تكمن في انه رفض ليس تجربة عبد الناصر فقط بل تجارب كل الحركات الوطنية العربية .

وفي العدد مقال آخر في هذا الاطار بعنوان « **عن التغيير والتسوية ـ عود على بدء** » **لمحمود سويد** ، وهو يتكلم من زاوية نظر اخرى . بالاضافة الى مقال لـ **حازم صاغية** بعنوان « **المشروع الاسرائيلي وآفاق المرحلة القومية وملاحظات حول انهيار الطوائف** » .

وكتب **هاني حوراني** مقالا بعنوان « **الظروف الاقتصادية والمعيشية للعمال والشغيلة في الاردن** (١٩٥٠ ـ ١٩٥٧) » . وعالج **نزيه قوره** « **التاريخ والتاريخ الآخر ـ حادثة دمشق ١٨٤٠** » .

اما المفكر التقدمي المصري **اديب ديمتري** فعالج موضوع « **أعمدة العرقية الاوروبية وجذر الصهيونية** » .. كما كتب **حنا شاهين** مقالا بعنوان « **المفهوم الاسرائيلي للحكم الذاتي ، حكم ذاتي ام بانتوستان** » ؟ .

وبخصوص ايران هناك مقال بعنوان « **ايران ـ العقد الاجتماعي الجديد بين الواقع والخيال** » **لابي الحسن بني صدر وغزانفار بوربول فييل** وترجم النص عن الفرنسية **ندره صولي** . وتناول **زكي النقاش** « **فيليب حتي والتاريخ العربي** » .

وفي باب التقارير تقرير وحيد بعنوان «**النشاط الاسرائيلي في امريكا اللاتينية في مجال بيع الاسلحة**» لـ **عصام كامل** .

وفي باب المراجعات هناك عدد من الكتابات حول بعض الكتب ، اهمها كتاب **احمد فاروقي** و **جان لاريفير** « **ايران ضد الشاه** » وكتب عنه **سهيل القش** . وكتاب « **ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية** » **للدكتور اميل توما** وكتبت عنه **غادة كنفاني** . وكتاب « **تعليم العرب في اسرائيل** » **للدكتور**

سامي مرعي وكتب عنه **احمد محمود بدر** . اما في باب الشهريات فقد كتب **عبد الحفيظ محارب** عن المناطق المحتلة . و **نزيه مراد** اسرائيليات . و **سمير كرم** عن قضايا دولية .

على صعيد الشؤون الادبية هناك اربعة مقالات « **الفن ونيويورك** » **لسامية الحلبي** ، « **بدو الجحيم** » **لاميرة الزين** ، **مسرح بلا اقنعة يكشف « اقنعة مسرح الكيان »** **لمحمد ابي سمرة** ، و « **الروائيون الاسرائيليون شهود على المعاناة** » **لنوريت غيرتز** .

● مقابلة مع الاديب السوري هاني الراهب ●

تعيد « **المؤسسة العربية** » في بيروت خلال فترة قصيرة اصدار الاعمال الروائية للكاتب السوري المعروف **هاني الراهب** ، وفي مقدمتها «**المهزومون**» و «**الف ليلة وليلتان**» .

وهاني الراهب عرفته الحياة الادبية العربية منذ عشرين عاما حين فازت روايته الاولى « **المهزومون** » بجائزة مجلة « **الآداب** » اللبنانية .

ولمناسبة صدور طبعات جديدة من اعمال الراهب كان لمراسل « **الوطن العربي** » ، التي تصدر في باريس ، **عصام خير الدين** هذا اللقاء معه في دمشق وفيه تحدث عن بعض همومه وهموم الكتابة العربية (العدد ٨ ـ ١٤ حزيران ١٩٧٩) :

ـ من المعروف انك تكتب القصة والرواية ، فلماذا تتأرجح بين هذه وتلك ، وما هي الدوافع التي تملي عليك هذا الانتقال ، بمعنى آخر ايهما اقرب اليك ؟

● **الرواية ، اولا ، ثم الاقصوصة والقصة .**

الرواية تستوعب وتشمل مناخات متعددة وقادرة على احياء جميع التجارب . ويمكنها ان ترصد الانسان حتى عند تلك الذرى التي يتناولها الشعر ، ويبقى لها السرد ، الوصف ، الحدث ، الاستبطان ، وسعة التاريخ والمجتمع . وهي تتجه مباشرة الى القارىء . وتكون له اكثر من صديق موقت .

الاقصوصة طلقة ، قد تصير جاهزة في اقل من اسبوع . وقد تظل عامين . لكنها تظل حيزا صغيرا ، الا اذا اغارت على تخوم الرواية ، دون ان تفقد صفتها اللحظوية .

الرواية ، زمن طويل ، وهم متواصل ، وولادات لا تنتهي . واشكال متشابكة تتكون وتنحل وتتكون . الاقصوصة اما لحظة مشحونة او تمرين على مسائل التقنية الروائية ، اختبر بها ما اريد ان اجعله في الرواية تقنية جديدة .

متى اكتب ؟ مسألة ذات شجون . الحياة قصيرة . والحياة تمضي . من اين للمرء ان يكتب كل ما في وعيه وضميره ؟ الكتابة ممكنة في اي وقت ؟ يجب عليك ان تأكل وتلبس وتأوي اولا .

وهكذا ، تصير الكتابة نوعا من ترف المتسولين المستحيل .

وكنت اظن ان التدريس في الجامعة سيتيح لي وقتا كافيا للكتابة ، لكن هذا الحلم تبدد .. انني ما زلت اشتري حاجياتي بنفسي لكي اوفر ما سيربحه البقال .

امراض الرواية ...

ـ القصة القصيرة كما الرواية ، وفدت الينا من الخارج واستطاعت ان تقطع مسيرة طويلة ، لكنها لا تزال تعاني من امراض ، احدها ان القاصين العرب يتعاملون دائما مع موضوعاتهم من منطلق حسي ومادي مباشر ـ على حد تعبير المستشرق بيرك ـ اكيف تقف انت من مسيرة القصة وما هي عليه ؟

● **القصة القصيرة فن قائم بذاته ، لها جمهورها وقيمتها الادبية الثابتة . لكنها بحاجة الى تطوير ، والا اختفت . لقد اشتبك العالم بعضه في بعض ، ولم يعد للتفصيل الصغير الذي تنهض عليه الاقصوصة ، ان يشبع نهم القارىء الى رؤية العالم في تداخلاته المعقدة .**

لذلك ، ينبغي لبقعة الضوء المحددة التي تلقيها الاقصوصة ان تزداد توهجا بروافد نامية مضبوطة تصب فيها من جهات العالم الاربع .. وعندها تتصل بقع الضوء بعضها ببعض وتصير شبكة ، بانوراما عبر رؤية مركزية .

وزاد ، ان ربط الخاص بالعام واللحظة بالتاريخ والزمن ، والفرد بالمجموع ، قد يكون دربا مؤكدة نحو شمولية فريدة عبر بؤرة مركزية تتصف بها الاقصوصة .

النقد الشامل مفقود ...

ـ رواد القصة العربية بدأوا يتذمرون من عبثية كتاب اليوم ، وقد تجلى ذلك بما قاله نجيب محفوظ حيث اتهمهم بالتغريب وعدم فهم الواقع . هل انت مع هذا الرأي ؟

● **اما تزالون تذكرون نجيب محفوظ ؟ لقد فهم الواقع والأم معه توازنه الخاص .**

ـ هل استطاع النقد العربي في رأيك ان يواكب الابداعات العربية في الوطن العربي ؟

● **النقد الادبي العربي جزء من حالة نقد شامل لمختلف المجالات العربية ، وهذا النقد الشامل للبنى والتشكيلات العربية مفقود تقريبا ، اما ، لانه غير مسموح به ، واما لان العقل العربي لم يصل بعد الى هذه المرحلة المتقدمة من رؤية الذات العليلة بحيادية وبصيرة نفاذة ، وان كثيرا من الانجازات في ميدان الادب وخارجه مضطر لان ينتظر جيلا قادما يسمي الاشياء باسمائها ويستعمل مبضع**

الجراح . اما الان ، فحسبنا في ميدان النقد الادبي ان نلمس طريقا الى المنهج . ان قيمنا ومعاييرنا الادبية لا تزال اجنبية ، والقليل القليل منها مشتق من صلب هذه الابداعات التي تشير اليها .

ولا اظن ان الامر سيحسم في ميدان النقد قبل ان يحسم في ميدان الفكر ، قبـــل ان يصير التوجه الفكري تيارا شاملا اما لليمين واما لليسار .

ـ المنطلقات الحاسمة في التاريخ والهزات السياسية وتقلب الاوضاع افرزت في اغلب المجتمعات ابداعات وقفزات حضارية كبيرة .. تاريخنا العربي لم يتأثر بما مر به من حالات مماثلة ... فلماذا ؟

● لان تاريخنـــــا المعاصر اشبه ما يكون بمباراة ملاكمة ذات اشواط لا تنتهي ، نحن نهزم شوطا بعد شوط ، وليس بالضربــــة القاضية ، مع الاسف ، للضربة القاضيـــة نتائج .

فاما الموت ، واما رد فعل بحجم الهزيمة ، ونحن امة لا تموت .

لذلك ، يجب ان نهزم بالنقاط ، لان الضربة القاضية ستخلف ردا تاريخيا . الهزيمة على جرعات افضل ، لاننا كلما خسرنا شوطا وثبت احلامنا القلقة الى الذي يليه ، وهيانا له المهرجانات اللفظية العظيمة . نحن لا نعيش في التاريخ بل على هامشه ، نتفعل به وتلهث وراءه ، والذين يحاولون دخوله تسحقهم مهرجانات المهزومين بلا رحمة ، من ان الابداع والوثبات الحضارية ، اذا كانت الامبريالية تصنـــــع جزءا من تاريخنا ، من يجرؤ على الابداع . ومن يستطيع ان يتحضر ، العربي محاصر حتى في جسده في حالات متعددة ، كـــل يوم يعبر به موكب للنصر والانجازات المذهلة ، لكنه محاصر ، ممنوع من الفعـــل والقول والتفكير في معظم الاحيان .

لقد تحملوا عنه هذا العناء . وقالوا اسكت فسكت .

قفزة السبعينات

ـ كيف تنظر الى النتاجات الادبية العربية الحديثة ، سواء النتاجات الشباب في سوريا ولبنان او البلاد العربية ؟

● اعتقد ان اعوام السبعينات قد شهدت قفزة نوعية خطيرة في الانتاج الادبي العربي ، لقد وادت الحاجة للاطاحة بادب البرجوازية الصغيرة ، تجارب شديدة الغنى والاختلاط والتباين ، في وقت واحد .

وبالطبع ، يصعب الان علي ان استوعبها على نحو محكم ، لا شك ان فيها الكثير من الغثاثة والفجاجة ، لكنها اكثر محاية ، وهذه في تصوري صفة ممتازة ، واكثر تنوعا وبحثا وتجريبا . وهي اعمق وابلغ استقصاء للذات والجماعة ، لكن ما يوجه اليهـــا اللطمات المشوهة ، ظروف الارهاب التي لم يسبق لها مثيل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . والمعركة محتدمة بين هـــذه النتاجات وتلك الظروف . احيانـــا يكون للارهاب حسناته الفنية في عالم الادب، اذ يضطر الاديب للتعبير بوسائل جديدة تفاديا لاعتقاله شخصيا او اعتقال ادبه . وليس نادرا ان عددا من هذه الوسائل قد جاء بنتاج اصيل . لكن شيئا اساسيا وحاسما يظل غائبا هو ان الاديب يستطيع ان يقول كل ما يريد دون ان يهبط الى العمق الذي يريد ، بحيث يظل قـادرا على الوصول الى جمهور قرائه .

تجارة الادب الاسود

ـ بنظرك ما هي الالوان الادبية التي ستبرز مستقبلا في الوطن العربي ، ولماذا ؟

● لا ادري اذا كان السيناريو في السينما والتلفزيون سيحرز ذات يوم هوية ادبية ، لكنه خارج المستوى الرسمي ، خارج مكاتب الادب ومؤسساته ، يكتسح السوق كالوباء . المشكلة هي ان النظرة الفوقيـــة للسيناريو والرقابة الصارمـــة على مضمونه في حالات متنوعة ، تتركانه سلعة بين ايدي تجار السوق السوداء للادب الاسود .

وبوسع السيناريو ان يصير ادبا عظيما . لكن كل شيء في هذا المجال يخضع للتجار ، فالذي يدفع مالا اكثر يفرض قيمة وانماطا حياتية ، والذي يملك مالا اكثر هو ذلك الذي تجاوزه الزمن منذ ايام حمورابي . لكنه مـا يزال يقبض باموإله على عنق الادب ... في المستقبل يمكن للسيناريو ان يأتي بروائع خالدة ، اذا حدث ما ينقذه من براثن تجار التخلف والعقم والقبلية .

ـ هل لديك من جديد ؟

● دائما ولكن لا يوجد لدي دوما الوقت المطلوب ، احيانا ، اجد ان لدي ما يكفي للكتابة عشرين عاما بلا انقطاع ، ثم تقذفني لجة المياه الشرسة فينتهي كل شيء على الرف . بانتهاء العام الدراسي في الجامعة ساعود الى روايتي الرابعة ، التي لم تأخذ عنوانها بعد ، والتي نضجت تقريبا في الذهن . محورها الاساسي ، رصد عناصر البطولة في شخصيات تنتقل من البيئة الاقطاعية الى احدى بيئتين: الثورية والبرجوازية الصغيرة، وهي تمتد من عام ١٩٤٥ الى عـــام ١٩٧٧ وتنتهي بزيارة السادات للكنيست .

جوله مع الكتب

● عدنان جابر في « ملحمة القيد والحريـــة » ●

« مهما قيل في وصف ثنائية الالم والتحـــدي فالواقع يظـــل اكبر تعبير واسطع » .

بهذه العبارة يصدر **عدنان جـــابر** مقدمة كتابه « **ملحمة القيد والحرية ـ عالم اسرى المقاومة الفلسطينية في سجون اسرائيل** » ، الذي صـــدر مؤخرا عن « **دار الطليعة** » في بيروت . والكتاب ـ كما كتبت عنه الصحف

والمجلات العربية – عمل موثق لعالم أسرى المقاومة الفلسطينية في سجون الاحتلال الاسرائيلي وعلى لسان واحد من الذين عانوا التعذيب وشاهدوا عيانا ممارسات الاحتلال الاسرائيلي الذي يدعي أربابه انه اكثر الاحتلالات « ليبرالية » وانهم « واحة الحضارة » في « صحراء همجية » . ويقع الكتاب في ٣١٠ صفحات من القطع المتوسط.

يذكر المؤلف في مقدمة كتابه « ... **ان الاعتقال هو بمثابة محك وتجربة للمناضل ، وهو ليس نهاية للنضال بل يعتبر امتدادا لهذا النضال ، وشكلا آخر من اشكاله لكنه شكل مرير** » .

وفي الفصل الاول يأتي المؤلف على ذكر الناحية الحقوقية والقانونية ، فيشير الى المبادىء العامة لحقوق الانسان والى الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر في ١٠ كانون الاول ١٩٤٨ .

ويذكر ممارسات حكام اسرائيل القمعية وانتهاكاتهم فيقول « ان انتهاك حقوق الانسان في سجون الاحتلال هو جزء من الانتهاك الاكبر، وهو اقتلاع الشعب العربي الفلسطيني من وطنه فلسطين » .

ويشير في الفصل الرابع من الباب الاول الى مكانة المرافعة والمحامين في المحاكم العسكرية الاسرائيلية ، والى ظروف الاعتقال التي تتم في جو اشاعة الارهاب ، ويعدد السجون مميزا المعدة للتحقيق منها والمعدة للارهاب والتعذيب .

في الباب الثاني يصف المؤلف الحياة داخل السجون الاسرائيلية . ويمر على ذكر ما هو مهم في استخلاص الدروس والعبر من واقع السجون حيث يعرض لموضوع «أسرى المقاومة الفلسطينية والثقافة» فيقول : السجن مدرسة .. وهذا امر واقعي يلمس عند أسرى المقاومة الفلسطينية في سجون الاحتلال . بل ان الدور الفكري والتأسيسي الذي تقوم به السجون قد غدا مسألة بارزة وشائعة في تاريخ الحركات الثورية والوطنية في العالم .

كذلك يتحدث المؤلف عن الاضرابات داخل السجون وتنظيمها وفعاليتها ، خاصة في المناسبات الوطنية التي لها علاقة بقضية الشعب والنضال الفلسطيني والعربي بشكل عام . ثم يروي قصصا يومية من داخل السجون وكيف يحيي الاسرى المناسبات الوطنية والسياسية داخل السجون .

ويعرض **عدنان جابر** لسياسة سلطات الاحتلال في النفي والابعاد في مواجهة كفاح الجماهير الواقعة تحت الاحتلال وذلك للتخلص من المناضلين الذين لا تثبت « إداناتهم » ، وكذلك يعري التوقيف الاداري فيقول : ان سلطات الاحتلال تستخدم التوقيف الاداري ضد من تشتبه فيهم والذين لم تستطع المخابرات الحصول على اعترافات منهم .. فيأتي التوقيف كاجراء تعسفي مزاجي .

لقد كتب الكثير عن اساليب التعذيب الوحشية والاعتقال والتحقيق في سجون الاحتلال الاسرائيلي وهذا الكتاب يضاف الى سلسلة هذه الكتب الوثائقية التي تعمق الادراك بعنجهية المحتل الاسرائيلي وممارساته البوليسية .

وان ابلغ ختام لهذا الاستعراض هو ملاحظة الختام التي بثها الكاتب للقارىء « لقد انتهى هذا الكتاب ، إلا ان الملحمة لم تنته » .

مكتبة الجديد

● الناطور – مسرحية د. سليم مخولي ●

تعتبر هذه المسرحية المحاولة الاولى للدكتور **سليم مخولي** في كتابة النص المسرحي ، بعد اصداره ديوانيه الشعريين « **معزوفة القرن العشرين** » و « **صدى الايام** » في اواخر عام ١٩٧٤ .

ويوظف الكاتب في مسرحيته هذه موضوعات اختارها – كما اشار الى ذلك **صليبا خميس** في تذييله للكتاب – « من معاناتنا اليومية في اسرائيل وما يتعرض له شعبنا من اضطهاد في الوقت الحاضر . واستمد ذلك من خلال تجاربه الشخصية وعمله المثابر في قيادة اللجنة القطرية للدفاع عن الاراضي العربية ومواجهة سياسة التهويد وسلب العرب اراضيهم » .

تقع المسرحية في ١٢٦ صفحة من الحجم الصغير وطبعت في مطبعة « **الاتحاد** » التعاونية بحيفا . وتضمنت بين ثناياها بعض اللوحات التي صممها مع لوحة الغلاف المؤلف نفسه .

● هويتي الارض ـ شعر سليمان دغش ●

هذا الديوان هو باكورة انتاج الشاعر الشاب **سليمان دغش** ، ابن قرية **المغار** الجليلية . ومن خلال قصائده يبث الشاعر لواعج حبه وولائه وانتمائه للارض العربية التي ارضعته هويته القومية من ثديها وشحنه حليبها بوعي وعمق نضاليين.

وتظهر بعض القصائد زخم التحدي الذي يعيشه سليمان ، كواحد من ابناء الطائفة العربية الدرزية ، في مواجهة العسف الحضاري ومحاولات التذويب القومي ودق إسفين التفرقة بين ابناء الشعب الواحد التي تنتهجها السلطات بشكل نموذجي .

صدر الديوان عن منشورات دار « **الاسوار** » ويقع في ٧٦ صفحة من الحجم الصغير وكتب خطوطه الخطاط **كميل ضو** اما الغلاف فصممه ابن المغار **جودت صالح** . وتذيل الديوان نبذة عن المؤلف وتجربته الشعرية بقلم **د. سليمان بشير** .

● العائدون ـ شعر وفاء بدوي ●

عن دار « **القبس العربي** » صدر الديوان الثاني للشاعرة العكية **وفاء بدوي** بعنوان « **العائدون** » . وتفوح من قصائد الديوان المختلفة هموم ابنة مدينة الاسوار والتاريخ العتيق، التي يواجه ابناؤها مؤامرة ترحيلهم وقتلهم « بدم بارد » ... بعزة وكرامة وفخر . وهي هنا تحاول تلمس طريق الخلاص من المعاناة الذاتية التي تفيض بها نفسها ومن مشاعر الغربة القاتلة التي تسلبها الفؤاد فتدفعها الى رحلة العبور نحو الماضي وتضحي في انتظار قطار الامل الصاعد عبر الشمس .

يقع الديوان في ٨٦ صفحة من الحجم الصغير ولوحة الغلاف من مجموعة رسوم للدكتور **سليم مخولي** اهداها الى صاحبة الديوان .

● غرة على جبين الصبا ـ مجموعة من الشعراء والرسامين الشباب ●

اصدر « **مكتب المجتمع** » في الناصرة نتاج مجموعة من الشعراء والرسامين الشباب في البلاد بعنوان « **غرّة على جبين الصبا** » . وقد اشرف على اعداد المجموعة **الشاعر ميشيل حداد** وكتب خطوطها **فوزي ناصر** وصمم الغلاف الرسام **كمال ملحم** .

وتتضمن المجموعة نتاج ٤٦ موهبة على الطريق في الشعر والرسم ، ولا يتحكم المستوى الفني والتقني في تسلسل المواد المنشورة فنجد بينها الغث والسمين والمتوسط . ومع تشجيعنا لظاهرة النشر التي تضطلع بدور هام في مسيرتنا الثقافية الا انه يجب الا نغفل اهتمامنا النقدي لكل مادة ادبية قبل ان ندفعها الى الطابع .

عدد صفحات المجموعة ٩٦ صفحة من الحجم المتوسط .

● نشرات طلابية ●

يقوم الطلاب العرب في الجامعات الاسرائيلية بنشاطات اجتماعية ـ ثقافية ، بالاضافة الى نشاطاتهم النقابية والنضالية في اطار نضال الجماهير العربية العام . وتشمل هذه النشاطات عقد الندوات والمحاضرات والامسيات الشعرية والحفلات الفولكلورية الفنية ببرامجها وطقوسها واصدار النشرات الدورية .

وفي هذا الاطار اصدر الطلاب العرب العديد من النشرات التي حوت تقارير عن نشاطهم وعددا من البحوث والمقالات الادبية والقطع النثرية الساخرة والشعر وغيرها .

ونشير في هذا الصدد الى نشرات « **النداء** » التي اصدرتها لجنة الطلاب العرب في الجامعة العبرية بالقدس ، و « **الدولاب** » التي اصدرتها لجنة الطلاب العرب في معهد التخنيون بحيفا ، و « **بير زيت** » التي اصدرتها جبهة الطلاب العرب في جامعة حيفا ، و « **نداء الشيخ مؤنس** » التي اصدرتها لجنة الطلاب العرب في جامعة تل ابيب .

واننا اذ نحيي مصدري هذه النشرات من طلابنا ندعوهم الى المثابرة في اعلاء كلمة شعبنا ونقل رسالته الثقافية والانخراط في معالجة قضاياه النضالية المختلفة .

* منشورات «الاسوار» تواصل مسيرتها *

تعتبر دار نشر «الاسوار» – عكا – احدى دور النشر النشطة في البلاد.

وقد اعتمدت «الاسوار» التخطيط لمنشوراتها من خلال برامج دورية في سبيل ايصال الكلمة الى اوسع صفوف جماهيرنا العربية (كما تنتهج منشورات «صلاح الدين» في القدس هذا السبيل الذي اثبت نجاعته وسرعة انتشاره)، وفي هذا الاطار اصدرت برنامجها الاول الذي يتضمن الدراسات ومجموعات القصص والشعر والمسرحيات.

وسيصدر عن هذا البرنامج عشرة كتب هي على التوالي:

الطريق الى الخيمة الاخرى – دراسة في اعمال غسان كنفاني – تاليف د. رضوى عاشور، احبك او لا احبك – شعر محمود درويش، الباب – مسرحية غسان كنفاني، كتابة بالاصابع المقيدة – صرخة.. لعلي الخليلي، دراسات في القصة المحلية لنبيه القاسم، الشجرة التي تمتد جذورها الى صدري – قصص سلمان ناطور، مختارات من الشعر العالمي المعاصر – قصائد لنيرودا ولوركا وبريخت وايلوار وغيرهم، دراسة عن غسان كنفاني – اعداد يعقوب حجازي وانطوان شلحت، تواقيع على الاتفاقية – قصص عادل الاسطه، والموت الاكبر – مسرحية زكي درويش.

وقد صدر من هذه الكتب حتى الان مسرحيتا الباب والموت الاكبر، ومجموعة قصص سلمان ناطور، ودراسة الدكتورة رضوى عاشور.

ومن غير البرنامج صدر عن «الاسوار» ايضا ديوان شعر لفهيم ابو ركن بعنوان – في القدس العارية، وكتاب تاريخ بعنوان – عكا وقراها – لناجي مخول.

كذلك تعتزم في المستقبل القريب اصدار ديواني شعر للشاعرين سميح القاسم وفدوى طوقان، وروايتين لحنا مينه ومحمد نفاع، ومسرحية لممدوح عدوان، ودراستين للدكتور ادوار الياس والمحامي عمر غزاوي، وكتاب عن الفن التشكيلي الفلسطيني، يضم دراسات ولوحات لفنانين تشكيليين فلسطينيين، سيشرف على تحريره يعقوب حجازي.

* وقفة قصيرة عند الكاتب سلمان ناطور *

ولد الكاتب سلمان ناطور في شهر تموز من عام ١٩٤٩، في قرية دالية الكرمل.

تلقى دراسته الابتدائية في مسقط راسه والثانوية في حيفا، واكمل فيما بعد تحصيله الجامعي، في الجامعة العبرية في القدس، حيث حصل على شهادة «ب. إ.» في موضوع الفلسفة العامة.

بدا نشاطه الادبي وهو على ابواب العشرين من عمره، وتمثل آنذاك بكتابة القصص القصيرة ونثريات ذهنية فلسفية، بتاثير مجال دراسته الاكاديمية، ثم ما لبث ان استقر عند كتابة القصة القصيرة، حيث لمع اسمه من خلالها، في الفترة الممتدة على سنتين منصرمتين، حين بدانا نقرا له في صحافتنا الحزبية.

تعرض سلمان، كواحد من ابناء الطائفة العربية الدرزية، الى شتى مؤامرات «الدرزنة» وسلخ طائفته عن القومية العربية مع كل ما تضمنته من تخطيط مبرمج لتذويب الشعور القومي والحماسة الوطنية، هذه المؤامرات التي انتهجها حكام اسرائيل، بوحي عقيدتهم الصهيونية، لزرع بذور الفرقة والتشتت بين ابناء الشعب العربي الواحد.

وسوية مع البذور الطيبة الواعية، التي بدا عودها يشتد، ولم تعد تنطلي عليها هذه الاساليب الرخيصة والمشبوهة، من خلال رؤية الاخطار الحقيقية الكامنة في هذا المخطط التصفوي الماساوي، بدا سلمان رحلة تحديه – طريق الآلام – ومع تعمق زخم هذا التحدي وتوطد روح الحماس الوطني والثوري وجد سلمان طريقه الى صفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي، حيث شحذه هذا المسلك همة وعمقا ومنحه سلاحا اشد مضاء الى صميم الظالمين.

ويتصدى سلمان ناطور بشكل فعلي ومباشر الظالمين، ان كان ذلك في اطار نشاطه الحزبي في قريته ومع فريق لجنة المبادرة الدرزية، وان كان ذلك بطرقه الادب وكتابة المقطوعات الساخرة في «**الصفحة الرابعة**» من «**الاتحاد**» كل يوم جمعة.

ويعمل سلمان ناطور محررا في صحيفة «الاتحاد»، ويحرر صفحة «**الادب والثقافة**» فيها.

اصدر حتى الان اربعة كتب هي:

١ – **آراء ودراسات في الفكر والفلسفة** – صدر عام ١٩٧١ في القدس. وهو عبارة عن مجموعة من



المقالات الفلسفية، التي كتبها في اثناء دراسته الاكاديمية .

٢ ــ **ما وراء الكلمات** ــ مجموعة من القصص القصيرة ، صدرت عام ١٩٧٢ في القدس .

٣ ــ **انت القاتل يا شيخ** ــ رواية صدرت عام ١٩٧٦ في القدس . وعالج فيها ماساة التجنيد الاجباري المفروضة على الشبان الدروز من خلال دمغ مواقف الزعامة الدرزية التقليدية التي اسند لها دور « الشرطي » في تنفيذ هذه المؤامرة .

٤ ــ **الشجرة التي تمتد جذورها الى صدري** ــ مجموعة قصص ، صدرت عام ١٩٧٩ ، عن « الاسوار » ــ عكا .

والمجموعة الاخيرة ــ التي قدم لها بدراسة مستفيضة الدكتور اميل توما ــ اعتبرها النقاد دفعا جديدا في طريق تطور الكاتب ، الفني ، ووجد فيها البعض مقومات لكتابة الرواية ، التي لا تزال تفتقر لكتاب في ادبنا المحلي .

وقد اجمع كل من تناول المجموعة بالدراسة او التحليل (١) ان سلمان ناطور ينتمي الى كوكبة الادباء الساخرين حيث يوظف السخرية اللاذعة في قصصه ، مع وضوح الرؤية والقدرة على النفاذ الى مضامين الاشياء ومكامنها واستنباط الفكرة النيرة من ثناياها .

ومن تحصيل الحاصل ان نتلمس ابعاد هذه المسيرة الفكرية ، التي خطاها الكاتب سلمان ناطور ، في نتاجه الادبي . فالنتاج الادبي الجيد هو ذلك الذي يقدم افكاره للجماهير في متناول انفعالها وتجاوبها .

في المجموعة الاخيرة يقدم لنا سلمان ناطور « رصده » لمسيرته الفكرية ، بمنظار موضوعي وطبيعي ، وفي قالب ادبي مستحدث بعنوان **« الخلاص من خمس حالات عاطفية »** ، الخلاص الذي تطلبته مرحلة الانتفاضة في وعي الكاتب لارتياد طريق الجماهير .

ونقرا في الحالة الاولى **« علمني غيري أن اكشف عن هويتي بعد أن ادفن راسي في الرمال .**

لقد علمني غيري الا اسمي الاشياء باسمائها » .

وعلى هذا المنوال نقرا في حالات ثلاث اضافية حتى نصل حالة « الخلاص » الخامسة فنقرا :

« انتفضت وطهرت نفسي .. فتبين لي ان جذورها تمتد الى صدري .. شعرت بالطمانينة .. وتخلصت من حالاتي العاطفية » .

واستظلالا بروح هذا الدفء تتسلسل احداث بقية قصص المجموعة محدثة دويا وصدى عميقين في نفس القارىء .

انطوان شلحت ــ عكا القديمة

---

١ ــ مقدمة الدكتور اميل للكتاب بعنوان « لبنة من لبنات الادب العربي الساخر » . ــ « الاتحاد » ــ عدد ٣٦/٢٠ ، ٢٠ تموز ١٩٧٩ .

✻ نبيه القاسم ✻

الثورة السورية الكبرى وعلامات الاستفهام التي تثار حولها

(بمناسبة صدور الجزء الاول
من مذكرات سلطان الاطرش)

يستعيد احرار سوريا فى هذه الايام ، ومعهم احرار الوطن العربى ، تلك الايام المجيدة فى تاريخ سوريا ، حيث خرج احرار العرب فى سوريا ايعلنوا الثورة المسلحة ضد المحتل الفرنسي ..

وطوال هذه المدة ، كتب الكثيرون من ا مرب والاجانب عن هذه الثورة ... ونشر بعض رجالها مذكراتهم .. وناقشها العديد من الاساتذة والطلاب بين اروقة الجامعات .. كل واحد حسب ميوله العاطفية والسياسية ، لكن ، وطوال هذه المدة ، ظل الجميع ينتظرون ا قول الفصل من قائد هذه الثورة — سلطان الاطرش —

وتشاء سخرية القدر القاسية ان تنشر مذكرات القائد ولبنان يحترق بنيران حرب مدمرة تتلاعب فيها كل عناصر العمالة والخيانة والتآمر على شعب عربى شرد من وطنه وسيم الذل والهوان فى الغربة ، الا وهو شعبنا العربى الفلسطينى .

لا ابغى فى هذه المقدمة ان اقوم بتعريف سلطان الاطرش — فهو غنى عن التعريف ـ لكننى اقصد طرح بعض النقاط التى كانت مجال نقاش الكثيرين من الذين تناولوا الثورة السورية با مرض والنقد والتقييم .. واول هذه النقاط هى : هل كان سلطان الاطرش زعيما عشائريا تقليديا ام زعيما وطنيا ؟

لقد حاول ا كثيرون من الذين تناولوا شخصية سلطان الاطرش، من غير العرب ، اظهار سلطان وكانه زعيم قبلى محلى ، همه الاول والاخير تثبيت السلطان فى عشيرته ، وتوفير المستقبل الافضل لاهله وذويه ، وان كل الحروب التى اثارها لم تكن الا لتحقيق هذه الاهداف الصغيرة ..

ليس غريبا ان يعمل الغرباء على تحقير كل ما هو عزيز لدينا وابخاس حق كل زعيم نعتز به .. ولكن الحقيقة تختلف كليا عن التزييف المقصود .. فسلطان الذي شهد وهو فى الخامسة عشرة من عمره كيف استقبل احرار جبل العرب الامير سلطان بن الرشيد الذى جاءهم طالبا اللجوء ، احسن استقبال ، وتحدوا السلطة العثمانية القوية عام ١٩٠٦ ، كان الى جانب والده فى الحرب القاسية التي شنتها القوات التركية ضد احرار الجبل وانتقاما منهم لاستقبالهم وحمايتهم الامير سلطان بن الرشيد سنة ١٩١٠، وهذان الموقفان المشرفان اللذان شهدهما سلطان وشارك فيهما ، ايقظا فيه الروح الوطنية واشعراه بالانتماء الحقيقي — ليس الى آل الاطرش — وانما الى كل العائلات والى كل انسان عربى ، ومن ثم الشعور بالانتماء الى كل احرار العالم المدافعين عن حريتهم اثر اشتراكه فى الحرب القذرة التى شنتها تركيا ضد شعوب البلقان ، فكان سلطان ورفاقه يعطفون على ثوار تلك البلاد ويعاملون اسراهم معاملة حسنة ، ويسعفون جرحاهم ، ويقدمون الاطعمة لنسائهم واطفالهم وشيوخهم ، ويعملون على تجنيبهم الاخطار ..

هذا الوعى الوطنى الحر ، هو الذى دفع سلطان ليخوض المعارك ضد السلطة العثمانية ، ويقود الثورة طوال ست سنوات ضد الحكم الفرنسي .. وهذا الوعى الوطنى هو الذى جعله يرفض كل الاغراءات الفرنسية ، وتقلد اى منصب فى الحكومة العربية التى رئسها الامير فيصل لانه يرى ان موقعه الحقيقى فى ارضه وفى تلبية نداء الارض اذا استدعته للدفاع عنها .. وليس فى تقلد منصب حكومى .

وثانى هذه النقاط المهمة هى : هل كان موقف سلطان الاطرش من الثورة العربية موقفا انتهازيا تكتيكيا ام موقفا واعيا دافعه الشعور العميق بوحدة المصير العربى والانتماء العربى ؟؟

— لم يأل المؤرخون الاجانب من التشكيك بمواقف سلطان وابناء جبل العرب الدروز من الثورة العربية مدعين ان هذا الانقسام بين زعماء الجبل والطرشان بالنسبة للثورة العربية ليس الا خطة حكيمة يتبعها الدروز لدرء اخطار المستقبل .. اذ لا بد ان يكون احد الخصوم منتصرا فى النهاية ، وعندها يقف الجناح الدرزى الذى ايد المنتصر ليذود عن الجناح الاخر الذى كان معاديا وبهذا يفوز الجميع ويقطفوا ثمار هذه الخطة الحكيمة ..

ويجيب سلطان الاطرش نفسه هؤلاء المشككين بقوله : لم نتخذ قرارنا الالتحاق بالثورة العربية نتيجة فورة عاطفية او هوى فى النفس طارىء ، وانما لاننا كنا نستلهم من تاريخ طائفتنا الطويل ، مواقفها السياسية والحربية المماثلة ضد العناصر الاعجمية التى تحكمت بنا فى الداخل والغزاة الطامعين الذين جاءوا لاستعمارنا وسلب خيراتنا من الخارج ، وكذلك لاننا كنا على يقين من ان الحركة العربية جذورا راسخة فى جبلنا منذ ان كانت تنشط فى الخفاء ببلاد العرب وفى عاصمة الدولة العثمانية .

وليس استقبال اهالى الجبل بكل فئاتهم وميولهم السياسية لآلاف المشردين والاحرار الهاربين من سوريا ولبنان ومصر وباقى الاقطار العربية الا دليلا واضحا على صدق اقوال سلطان الاطرش .. وتاكيدا لرسوخ جذور العروبة فى اعماق كل فرد من ابناء الطائفة

الدرزية مهما اظهرت الايام .. ومهما خدعت المظاهر .. فالعادات العربية الاصيلة التي يتمسك بها الدرزي واللغة العربية الاقرب الى الفصحى في فم الدرزي .. والدم المراق في سبيل عزة العرب كل هذا يدل على هذه الجذوة العربية المشتعلة ابدا في فؤاد الدرزي العربي المخلص .

ويكفي سلطان وابناء الجبل العربي فخرا انهم كانوا اول من دخل دمشق واخمد المقاومة فيها .. وكان لهم الفخر برفع العلم العربي فوق دار الحكومة يوم ٣٠ ايلول ١٩١٨ ، هذا العلم العربي الذي كان يخفق في مقدمة الحملة منذ خروجها من الجبل ، والذي به استقبلوا الامير فيصل عندما وصل الى دمشق يوم ٢ تشرين اول ١٩١٨ .

وسلطان الاطرش الذي اعتذر للامير فيصل ورفض استلام مركز وزاري في حكومته وفضل العودة الى ارضه وتربية مواشيه ورعاية شؤون بلدته من منطلق الفهم الواعي لدوره النضالي ، هو نفسه الذي سارع ساعة سمع بغدر الفرنسيين الى ارسال وفد للحاق بالامير فيصل واقناعه بعدم الرحيل عن سوريا ، واعدا اياه بالنضال والثورة والانتقام من الفرنسيين ، وكان ذلك بعد موقعة ميسلون الشهيرة في تموز عام ١٩٢٠ .

وثالث هذه النقاط هي : هل نستطيع تسمية الثورة التي اجتاحت سوريا بين عامي ١٩٢٥ — ١٩٢٧ ضد الحكم الفرنسي ، ثورة سورية عربية عامة ام ثورة درزية محلية ؟؟

تستدعي هذه النقطة اهتمام كل الباحثين في تاريخ سوريا والعرب في العصر الحديث .. وبينما نجد الباحثين العرب والمخلصين من غير العرب يتناولون هذه النقطة بالعرض والتقييم والتحليل الموضوعي .. وهم متفهمون طبيعة تاريخ الشعوب وثوراتها وان كل ثورة لا بد ان تبدأ في مركز معين ثم تنتشر الى باقي المراكز .. فاننا نجد الباحثين من اعداء العرب وتاريخهم يجتهدون ويستكلبون في تمييع هذه الثورة ، كغيرها من الثورات العربية ، وحصرها في نطاق الطائفة والمحلية ومن ثم محو آثارها الايجابية وعزلها عما يدور حولها في العالم القريب والبعيد ..

ونقف على مثل هذا الموقف المزيف والمعادي في المقال الذي كتبه الشيخ روني ونشره في مجلة (همزراح هحداش المجلد الثامن ، العدد الثاني سنة ١٩٥٧) .

قبل ان احدد موقفي من هذه النقطة ، اريد ان اقرر حقيقة غفل عنها المخلصون وتجاهلها الحاقدون وهي ان الثورة العربية السورية ضد الاستعمار الفرنسي لم تقتصر على السنتين المشهورتين (٢٥ — ١٩٢٧) وانما تمتد من اليوم الاول الذي بدأ به الغزو الاستعماري الاوروبي لبلاد العرب الى اليوم الذي طرد فيه السوريون اخر جندي فرنسي عن بلادهم .. كذلك فان الثورة المسلحة العنيفة في هاتين السنتين لم تكن بنت ساعتها ، بل تعود الى سنوات قبلها .

لم تكن الثورة درزية تقتصر على فئة واحدة ، هذه حقيقة لا ريب فيها ، رغم ان ابناء الجبل الدروز كان لهم شرف اعلانها وخوضها وتحمل الاعباء الكبرى اثناءها .. لم تكن الثورة درزية ، لان الاضطهاد والظلم والقهر الذي ثار الدروز ضده لم يكن من نصيبهم فحسب وانما كان يقع على كل ابناء سوريا العرب وغير العرب من ارمن واكراد .. واذا كانت طبيعة الجبل الجغرافية وتوفر الزعامة المخلصة المتمثلة بشخصية سلطان الاطرش قد جعلت الثورة تنطلق من الجبل اولا وتنتشر الى اغلب اقسام سوريا فيما بعد .. فان ذلك لا يبخس باقي السوريين حقهم في النضال القومي ضد المستعمر .. فان الرجال الشجعان الذين خاضوا معركة ميسلون والغوطة وغيرهما ، والاحرار امثال يوسف العظمة ونسيب البكري وابراهيم هنانو وساطع الحصري لهم الحق علينا ان نعطيهم حقهم . ونسجل ما قاموا به من اعمال مجيدة في ازدياد حركة الوعي القومي والنضالي وتوحيد كلمة كل الاحرار في سوريا .

ويؤكد موقفنا من عدم اضفاء الصبغة الطائفية على الثورة ، الاتفاق السريع الذي تم بين قادة الثورة في الجبل وعلى راسهم سلطان الاطرش وقادة النضال القومي في باقي انحاء الوطن السوري امثال منير الريس والدكتور عبد الرحمن الشهبندر ونزيه المؤيد العظم ورفيق التميمي وغيرهم ونقل الثورة الى مراكز اخرى خارج الجبل كان لها التأثير الكبير على مجريات الثورة .. واثارة الرأي العام العربي والعالمي والفرنسي بصورة خاصة ضد الاستعمار الفرنسي حتى بلغ الامر بالفرنسيين الى التفكير بترك سوريا واعادتها الى معالجة عصبة الامم (راجع كتا بسلامة عبيد — الثورة السورية الكبرى — ص٢٣٤).

والنقطة الرابعة هي : الى اي مدى كان للوعي القومي اثره على تحريك الثورة واشتعالها ؟؟ تباينت آراء المؤرخين حول هذه النقطة ايضا .. لكن الذي اراه .. ان هذه الثورة كغيرها لم تكن وليدة ساعتها .. وانما تعود الى عوامل قريبة وبعيدة لعبت دورها في اضرامها .. ويكون من العبث .. وسوء النية بتر هذه الثورة .. عن مجريات الاحداث الاخرى في تلك الفترة .. خاصة وان صدى انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا وتقويض القيصرية ، وصدى النقاط الاربع عشرة التي اعلنها الرئيس الامريكي ويلسون اثناء الحرب العالمية الاولى والبيان السلمي الذي نشره الحلفاء على الشعوب الشرقية ، وتزايد نشاط الحركات القومية داخل الامبراطورية العثمانية ، ودور المثقفين العرب في ايقاظ الروح القومية العربية من جديد .. اضف الى ذلك ثورة مصر عام ١٩١٩ وثورة العراق والثورة في المغرب العربي .. وفي دول البلقان .. وانتشار مبادىء الثورة الفرنسية في الشرق .. كل هذه لعبت دورها في ايقاظ الوعي لدى فئات عديدة في اوساط الشعب العربي السوري .. وقد ذاق هذا الشعب حلاوة الانتصار وشعر بالعزة القومية وهو يرفع العلم العربي فوق دمشق عام ١٩١٨ .

وكما حرك الوعي القومي العربي سلطان الاطرش للخروج برجاله والمحاربة في صفوف الثورة العربية .. هكذا حرك هذا الشعور القومي سلطان الاطرش للاسراع الى نجدة الامير فيصل ساعة غدر به الفرنسيون .. والى نجدة ادهم الخنجر الذي التجا الى سلطان بعد ان قام بعملية جهاد مشرفة بقتل ضابط فرنسي ..

لم تكن قضية ادهم الخنجر الا الحجة التي عرف سلطان كيف يستعملها لكسب المزيد من الرجال .. ومهمة القائد التي كانت ولا تزال ان يعرف كيف يتعامل مع الفرص التي تتاح له .

لقد حاول المغرضون من المؤرخين ابراز قضية ادهم الخنجر الذي التجا الى بيت سلطان واخذته القوات الفرنسية عنوة ، وكانها المحور

والدافع الاساسى لثورة سلطان والدروز .. مدعين ان سلطان شعر بمس كرامته وعاداته وخرج ليأخذ ثاره من الفرنسيين .. وهكذا تطورت الامور الى ما آلت اليه ...

هكذا ببساطة ووقاحة يسهب هؤلاء فى تسجيل احداث الثورة .. متناسين مقاومة سلطان ورجاله للحكم العثمانى .. ومشاركتهم فى الثورة العربية .. ومعاداتهم للحكم الفرنسى وتمسكهم بخروج الفرنسيين وتوحيد كل القطر السورى ، منذ الساعة التى تكشفت لهم فيها الاعيب الفرنسيين والغدر بالامير فيصل والحكومة العربية .. ينسى هؤلاء كل هذه المواقف الشريفة .. ويتمسكون بقضية ادهم الخنجر .. وابراز القضية كلها .. وكأنها قضية ذاتية .. رغم ما فى هذه الواقعة من ابرز ملامح الاخلاق العربية المجيدة التى ترفع من مكانة سلطان ولا تخفضها ..

كذلك ينسى هؤلاء المؤرخون ان الحكومة الفرنسية التى حاربها سلطان اثر اعتقال ادهم الخنجر من بيته فى اواخر حزيران ١٩٢١ . والتى اضطر سلطان بسبب جبروتها وقوتها وحبه لاهله وبلدته على الرحيل عن سوريا والالتجاء الى الاردن .. قد عفت عن سلطان وسمحت له بالعودة الى بلدته واهله .. وانه بالفعل عاد يوم ٥ نيسان ١٩٢٢ .. لا ليهادن الفرنسيين ويشكر افضالهم .. وانما ليراسل .. ويتصل .. ويتشاور .. ويخطط لليوم الموعود الذى فيه يعود ليرفع علم العروبة والتحرير ثانية ضد المستعمر الفرنسى الغاشم ..

ويتناسى هؤلاء المؤرخون .. ان سلطان الاطرش عندما اعلن الثورة المسلحة ضد الفرنسيين من جديد عام ١٩٢٥ .. وعندما خرج برجاله الشجعان ليقاتل الفرنسيين فى اول معركة مهمة (معركة الكفر يوم ٢١ تموز ١٩٢٥) ولم يكن يريد محاربة فرنسا ليثار لكرامته التى مست باعتقال ادهم الخنجر قبل اربع سنوات .. وانما ليثار لكرامته وكرامة كل السوريين والعرب التى اهينت بحكم الفرنسيين للارض العربية السورية .. خرج وهو على ثقة ان هذه الشرارة التى سيشعلها بين ربوع الجبل مع رجاله الشجعان سرعان ما تتسع لتضرم نارا كاوية فى كل الارض السورية .. كان على ثقة لان الاحرار من باقى انحاء الوطن السورى كانوا على صلة به .. وقد صدقوا اذ لم تكد المعارك تستمر فى الجبل .. حتى اجتمع الاحرار فى ١٧ آب وأواخر آب ١٩٢٥ .. وشكلوا قيادة عامة للثورة .. وانتخب سلطان الاطرش قائدا عاما لها فى مؤتمر (ريمة الفخور) فى اوائل شهر ايلول ١٩٢٥ وقد كان بيانه الاول الذى اصدره بعد انتخابه قائدا عاما للثورة السورية مصداقا لما قلناه عن وعيه القومى وآماله الواسعة فى تحرير البلاد والشعب . وقد جاء فيه :

الى السلاح الى السلاح . يا أحفاد العرب الامجاد .. أيها السوريون ، لقد اثبتت التجارب ان الحق يؤخذ ولا يعطى ، فلنأخذ حقنا بحد السيوف ولنطلب الموت توهب لنا الحياة .

الى السلاح تأييدا لسيادة الشعب وحرية الامة .. الى السلاح أيها الوطنيون ولنغسل اهانة الامة بدم النجدة والبطولة ، ان حربنا اليوم هى حرب مقدسة ومطالبنا هى :

١ — وحدة البلاد السورية بساحلها وداخلها والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالا تاما .

٢ — قيام حكومة شعبية تجمع المجلس التأسيسى لوضع قانون اساسى على مبدأ سيادة الامة سيادة مطلقة .

٣ — سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتأليف جيش محلى لصيانة الامن .

٤ — تأييد مبدأ الثورة الفرنسية وحقوق الانسان فى الحرية والمساواة والاخاء .

سلطان الاطرش
قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام (*)

هذه المواقف الواضحة .. وهذه الاعمال والكلمات الواعية تؤكد صحة رأينا بان الوعى القومى الكبير الذى كان عند سلطان ورجاله كان له الاثر الاول والاخير على تحريك الاحداث واعلان الثورة ضد المستعمر الفرنسى .

والنقطة الخامسة هى : ما هى النتائج الايجابية التى حققتها الثورة السورية وكان لها اثرها على مسار تاريخ سوريا الحديث ؟؟

كان للثورة السورية آثارها الايجابية على ثلاثة مستويات رئيسية وهى :

الداخلى : حيث نبهت الثورة ابناء الشعب السورى على شراسة المحتل الغريب واطماعه ووحدتهم فى صف واحد للعمل ضده .. وايقظت فيهم الشعور الوطنى والقومى والعمل من اجل بناء مستقبل مشترك واحد فى وطن متحد مستقل .. وعلمتهم ان تحقيق الاهداف الكبرى مثل الحرية والاستقلال لا تنال الا بالقوة والمواجهة المباشرة مع العدو .. كما انها احيت روح الاعتزاز الذاتى والوطنى عند كل فرد وعرت تلك الزعامات التقليدية المهترئة المهادنة ، وخلقت مفهوما جديدا للزعامة والقيادة الواعية .. كما انها اثرت على اجبار المحتل على القيام بالكثير من الاصلاحات الداخلية .. ومن ثم على اعطاء بعض الصلاحيات الدستورية لابناء الوطن السورى فمثلا احتفل بانشاء اول جمهورية لبنانية ذات نظام برلمانى مؤلف من مجلسين فى ٢٦ مايو ١٩٢٦ ، وفى سنة ١٩٢٨ انتخب السوريون هاشم الاتاسى رئيسا للمجلس النيابى والفت لجنة برئاسة ابراهيم هنانو لوضع الدستور .. وقد كان لهذه الخطوات — مع قلة فعاليتها العملية — الاثر الكبير من الناحية المعنوية على تقوية الامل فى المستقبل المشرق .

المستوى العربى العام : رغم الجهل المحدق الذى كان مسيطرا على العالم فى حينه .. ورغم التقسيم الجغرافى والسياسى الذى فرضته الدول المستعمرة على الوطن العربى .. الا ان اصداء المعارك فى سوريا وصلت الى اغلب اقسام الوطن العربى .. وحركت العواطف والمعنويات عند الناطقين بالضاد حتى عبر المحيطات .. وقد ظهر ذلك فى التبرعات المادية السخية التى كانت تصل الى المقاتلين .. وفى التعاطف الشديد الذى احيط به المجاهدون ..

المستوى العالمى : كان من نتائج هذه الثورة الاولى ان عرفت

(*) — راجع — الثورة السورية الكبرى تأليف سلامة عبيد — الملحق ٥٩ وكتاب الثورة العربية الكبرى تأليف امين سعيد ، الجزء الثالث ص ٣١١ — ٣٢٠ .

العالم بسوريا وشعب سوريا .. واكتسبت القضية العربية عطف القوى الديمقراطية في العالم وخاصة في المعسكر الاشتراكي .. كما انها اثرت على الوضع في فرنسا ذاتها .. واوقفت الحكومة الفرنسية في موقف محرج.. حيث ان القوى اليسارية الفرنسية وقفت الى جانب الحق السوري وهاجمت الاحتلال الفرنسي لسوريا الامر الذي جعل بعض المسؤولين الفرنسيين يفكرون في امكانية اعادة ادارة البلاد السورية الى عصبة الامم (راجع سلامة عبيد صفحة ٢٢٤) .

والنقطة السادسة والاخيرة هي : ما هي العوامل المباشرة وغير المباشرة التي ادت الى فشل الثورة ، وانتهائها الى ما انتهت اليه ؟؟ ايضا حول هذه النقطة تختلف الاراء .. لكن من يقرا مذكرات قائد الثورة .. وما كتبه غيره عن الثورة ومجرياتها لا بد له من الوصول الى المسببات الحقيقية لهذه الانتكاسة ..

لقد كانت موازين القوى منذ اللحظة الاولى غير متكافئة .. وتميل بالرجحان الكبير الى الجانب الفرنسي ، فبينما كان الثوار يقاتلون فرنسا بالاسلحة البدائية ، ويقاتلون غير متدربين على الحرب النظامية ، وغير منتظمين تحت قيادة واحدة وعلم واحد ، تدفعهم الى ساحة المعارك النخوة الصادقة ، والرغبة في تحقيق النصر ، فاننا نجد في المقابل الجيش الفرنسي بكل قوته وتاريخه وامجاده الماضية ونشوة انتصاراته في الحرب العالمية الاولى ومساندة الانكليز له ومهادنة بعض قوى الانتهاز في داخل البلاد . وطبيعي والامر كما وضحنا أن تكون نتائج الحرب واضحة من البداية ..

تبقى بعض النقاط الثانوية التي تحتاج الى العرض والتعليق .. لكنني اكتفي بهذه النقاط الست ، لانها في رأيي تعطي الجواب لكل سؤال جديد قد يطرح بالنسبة للثورة السورية التي قادها سلطان الاطرش ضد الاستعمار الفرنسي لسوريا ..

نبيه القاسم — الرامة

❋ مطبوعــات جديــدة ❋

● عن دار « ستوك » الفرنسية صدرت مجموعة « قصص من فلسطين » تضم ١٢ قصة قصيرة مع مقدمة بقلم ابراهيم الصوص ، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية لدى الاونسكو .

● وعن الهيئة الطبية الفرنسية ـ الفلسطينية صدر كتاب « الشقة المقصوصة ـ فلسطين ـ نضالات وشعر » ويضم قصائد لفدوى طوقان وحنا ابراهيم وتوفيق زياد وسالم جبران ومحمود درويش وسميح القاسم ، وعنوان الكتاب هو عنوان قصيدة سميح القاسم : كان في ودي ان اسمعكم / قصة عن عندليب ميت / كان في ودي ان اسمعكم / قصة .. لو لم يقصوا شفتي ! .

● عن دار جاليليو ودار العامل في القدس المحتلة صدر مؤخرا كتاب عن الحركة المسرحية في المناطق المحتلة ، اعداد محمد انيس ، ويستعرض الكتاب نشاطات الحركة المسرحية تحت الاحتلال ويقدم بعض النماذج للعروض المسرحية .

● صدر اخيرا العدد الثالث من مجلة « التقدم » التي تعالج شؤون التعليم والمعلمين . واسهم في تحرير هذا العدد جملة من الكتاب المحليين والاجانب .

● صحيفة « الطليعة » الوطنية التقدمية التي تصدر في القدس المحتلة ويرئس تحريرها المناضل المعروف الاستاذ بشير البرغوثي اصدرت ملحقا من ٤٠ صفحة من القطع المتوسط يضم دراسات هامة في السياسة والفكر والمجتمع يشترك فيه عدد من الشخصيات العالمية والعربية البارزة . وبحق ، يعتبر اصدار هذا الملحق خطوة جديدة هامة على طريق المسيرة الثورية الحضارية التي يشهدها شعبنا في الارض المحتلة .

● عـادل الأسطة ●

الرغيف هنا تحول الى رصاصة

من اين تأتيك نفس الكتابة ؟ ثم كيف تبداها الكتابة ؟ كان عاما طويلا ! وكان اليوم اطول من آلاف السنين ، نام البشر زمانا وزمانا افاقوا : والغزاة عادوا مرة اخرى انتشروا وغطوا السهول ، كانت المراة والطفلة وكان الشيخ والفتى يعرفون ان الموت قادم ، يعرفون ان الطاعون انتشر . وكان الطحان يبحث عن خبزه ، لم يقل يوما كما قال ابو طالب ، لم يقل « للبيت رب يحميه » ، كان البيت يعني الحياة . وكان مسرى الرسول يعني وجوده ، لم يكن مسرى الرسول مكان عبادة كان يبحث عن رغيف ، ويبحث ايضا عما وراء الرغيف ، ويمارس يوميا العابه .. لم يكن ايار بعيدا ، وكان في عامه الرابع والعشرين حين ارتفع صوت الام ، حين ارتفع صوت الجدة :

ـ اني تشهيت الاغاني . ونريد طفلا يا سعيد

كان سعيد يحلم بان يصبح ابا ، بان تصبح له زوجة ، « وصحيح ان الحياة مرتفعة ، وصحيح ان المسكن ضيق ، وصحيح هذا .. لكن لا بد من الفرح .. لا بد من طفل وقبل الطفل لا بد من الزوجة » ، وكد وكدح وسال عرق جبينه ليل نهارا . تكسر الاقلام ، تمزق الاوراق : ليس هناك متسع لغير العمل ، وليس امامك اي خيار الا ان تصبح شجرة ، هنا الرياح تأتي قوية ، تأتي لاقتلاعك من جذورك ، تأتي لابتلاعك ، فهل تنحني ؟ ليس امامك اي خيار الا ان تقف وشامخا يجب ان يكون الوقوف . هم يحاولون فحاول ويجربون فجرب ، ويغيرون فاصمد .. انه قدرك في هذي الديار انه قدرك « فاسع في مراكبها » هكذا قال الاله : « كيف احرم منها كيف يا عمر بن الخطاب وهذا مسجدك مكتوب بالخط العربي ، وهذا مسرى رسول الله ، وهذه جذوري . ان البنايات الطرق الاحجار الاسوار اعتادتني الفتني وعانقتني اكلت من اخمص قدمي ، كنت ازيل الاوساخ وامسح العمدان من غبار عالق » . وكان الطحان يرى ان المرحلة ستلقيه خارج هذه الاسوار ، ومع ذلك كان يقول :

ـ انا الناشر فلسفة خلاص الانسان . لست رقما يا وكالة الغوث لست رقما مسجلا بين دفات السجلات الرديئة . انذا الانسان وهذا ساعدي ، هذا عرقي يروي الارض في زمن بخلت فيه السماء .

***

ان الانسان هنا يرى ملامحه الاولى تتبدل ، يرى بيته اطلالا ويرى نفسه خارج البيت ، لكان الزمن يعود الى الخلف ، هل تكفي قصائد زهير وامرىء القيس ؟ لا اريد خلودا بين مقاطع تثقل كاهل الطلاب ، اريد حضورا حسنا يا سادة ، وكان الصوت يرتفع : يا كنائس ، يا مساجد ، يا كنس ان الانسان يموت وانت شاهد على موته ، انت شاهد على محوه ، على شطبه من هذا الكون ، يا هذه الاشياء مجتمعة هل الحب مجرد حروف بين سطور الكتب ؟ . اعرف ان الحب لفظة طالما رددت : رددتها امي مذ كنت طفلا وكذلك ردد الالفاظ ابي ، رددها ايضا اناس ما احبوا ابدا ، اعرف ان الحب جميل لكن ماذا افعل ان كان الواقع ينفي وجوده ، ان كان الواقع ينفي تعاليم اله اصبح الكافر قبل المؤمن يحلف به من اجل مصالحه ، اني ابحث عن خبزي ابحث عن ذاتي ، ابحث في داخل الانسان عن الانسان .

***

ومع ذلك كان الطحان يحلم بحياة حلوة « ان لم اعشها يعشها ابنائي من بعدي » وكان يجوب المصانع والمزارع ، وكان يجوب المكاتب والشوارع ، كان يبحث عن عمل كان يحمل زاده داخل زوادته ويحمل ايضا كل الكرة الارضية ابتداء بآدم ، وكان الاقصى والماوى ثقيلا بد من الاستمرار ، « يسرقون الصخرة والمسجد ، يبلعون الشارع والمعبد ، وصباحا يتغذون على لحم الانسان » وكان يحاول ان لا تسرق الصخرة ، كان مريضا وما كان بقادر .. لكن كان يحاول . واصبح الظل يلتصق بجسده ، منذ سنوات في هذه المرة ، كان الوطن ثقيلا لكن لا

عشر لم يحصل هذا . كان ظله طويلا وما كان يدري ان يصبح ظلا لعمارات ولغات ، وكان الحقد يولد ، يوجد ، ويمتد ولا يرتد :

« ـ للمسرى في هذا الوقت قيمة
ما كانت
ولعمر بن الخطاب مكانة
ازدادت » .

وكان يصرخ :

اريد الخبز ، اريد العيش ، فلا تعطوني الحقد .

***

وكان ايار يقترب ، وكانت البطولة قاب قوسين ، وتزوج سعيد ، لبى رغبة جدته ، لبى رغبة والدته ، وكان يقول : سوف اخلف من يحمل اسم ابي ! سوف اعيد للعائلة ما فقدت .. فمن خلف ما مات » .

وكان العش الزوجي جميلا . كان العرس بسيطا وجميلا كان ، ومنذ اليوم الاول منذ اللحظة الاولى زرع الطحان البذرة « لا بد وان احيا ، لا بد وان احيي والدي ، سري في ابني ، وسري هو سر ابي .. هذا خلود الخليقة » . وما كان يدري ان الثوب الابيض ينقلب الى اسود فجاة .

***

وكيف اعود مرة اخرى ، كيف ابداها الكتابة .

كان الحزن ينتقل الى شوارع المدينة ، يسبح في مجاريها ، ويحاصرها يتحلل فيها ، وتقاوم هذا الحزن كثيرا وتقاوم وتحاول ان لا تياس واخترق الحزن البوابات ، كان السأم يعلو المدينة ، وكانت اصابعه تلاحق السكان ، كان اليأس يقترب ، كان الملل موجودا والكآبة تعلو الوجوه .. وكان الطحان يجوب شوارعها ، يدخل في ازقتها ، والمقاهي التي اعتاد رؤيتها اعتاد شتمها : « هم الزوار لا افهم لا ارغبهم ، يفرون من واقعهم ولا يحاولون الفهم » وتذكر ماضيه ، تذكر والده ولعن بريطانيا ، وسرح بعيدا ، وارتد بسرعة الى المقهى والرواد :

الناس هنا يسيرون ! هل ضلوا ؟ ابدا ما ضلوا . انهم يعرفون والشمس تطلع من الشرق : الحقيقة ايضا واضحة .

***

ما كان الطحان نبيا ، ما كان إلها ، كان انسانا يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، يحب ويكره ، يفرح ويحزن ، يحلم بالخبز وبالاطفال وما فكر يوما بالقتل . ولكن البنايات اتخذت شكله واتخذ هو شكل البنايات ، كل بيت يسقط يسقط معه عضو من اعضاء الطحان . لا فرق بين الانسان هنا وبين الجدران ، ليس يدري كيف اصبح المسرى انسانا ، كيف أصبح الانسان مسرى . ليس يدري كيف اصبحت المياه دماء ، كيف اصبحت الدماء مياها . وكانت الامثال قائلة « ما باليد حيلة » !

وكعادته كل صباح ، يخرج من بيته ، يبحث عن خبزه ، وكعادته خرج هذا اليوم وما حسب بان مغازلة الزوجة هذا اليوم تعني الوداع ، وما دري بأن الثار وجد في القرن العشرين وما وجد بهذا الشكل في القرن الخامس او قبل القرن الخامس ، لم يدر ان اسم ابنه المقترح سوف يتغير ليحمل اسمه هو .

وكعادته قبل زوجته ، ذكرها ايضا ان اليوم يأخذ اجرته ليعود بها ، بقميص او فستان للحبل ، للبطن المتكور ، للانثى ، للام ، كان يضحك احيانا حين يسمع عن انسان يولد والحقد معه ، وسخر مرة حين شرح معلمه قول الشاعر :

وانت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
اخيين كانا ارضعا بلبان

ولكن اليوم جاء ليثبت هذا . لو عاش لحظات ، لو قابل زوجته ، لو شاهد طفله لصدق وقال : الذئب والغدر توامان .

***

كان الجو ضبابيا ، وتذكر تبرير الكامل ، تذكر من قال بان الغيم يحول دون الحركة ، وشتم المرتد الباحث عن جائزة خداعة ، وما كان يدري ان غيم ايار ، الاول من ايار سيمطر حزنا ، يمطر بغضا ، يمطر حقدا ويمطر طيرا ابابيل لترمي الانسان بحجارة من سجيل .

كانت الشوارع خالية الا من الحزن والغزاة والحقد ، والتزم الصمت ، كان يعني ان الكلمة تعني النهاية ، ليس هذا وقت الحديث ، ان الديون ارهقتني اثقلت كاهلي ، والزوجة تنتظر ، والحامل تحتاج الى الراحة وتحتاج الى الغذاء .

***

فجاة كان النحاس يخترق سواعده القوية ، واكتمل العرس النهائي ، العرس الدموي .. كان الحقد يغلي في صدر الغازي .. وعانق الزوجة الابدية ، عانقها ودخلها ليتداخل فيها ، وسقاها ورواها ، وما علم بانه عاد كما كان . كانت الصفحات تحمل التهاني ، كانت الجنازة عرسا وما كانت جنازة . وكان الطحان في ذلك اليوم يبحث عن خبز .

(الضفة الغربية المحتلة)

● محمد كمال جبر ●

التجول ممنوع

... سكان المخيم يحبونه ، كان خفيف الروح وجريئا ، وعندما جرى تطويق المخيم وجمع الناس في ساحة المدرسة وقف وسأل احد الجنود

ـ لماذا تطوقون المخيم ؟

* اخرس مش شغلك !

ضحك عباس حينئذ وغنى بأعلى صوته

يمّا مويل الهوى يمّا مويليا
يما ضرب الخناجر ولا حكم النذل فيا

لم يفهم الجندي من كلمات الاغنية ، لكنه صرخ بأعلى صوته

* اسكتوا يا اخو ...

عندما رأى ان الناس ضجوا وطربوا للحن الذي يقال لاول مرة في مثل هذه « الاجتماعات » التي اعتاد عليها سكان المخيم ثم قهقه عباس وتذكر على حين غفلة « حسين » بائع الفلافل من المخيم والذي قاد مسيرة الهجرة يوم ٦٧ لكي يمنعها ، كان ذلك حين دخلت القوات الاسرائيلية من شرق المخيم ووقف ابناؤه يصفقون لها بعدما انتظروا « سنوات عجاف » ظانين انه طلائع الجيوش العربية القادمة لتحرير الارض والانسان ، وانتبه عباس على احد الجنود يلكزه بفوهة سلاحه .

* تعال وله اخو ...

وامام الجمع القاعد متربعا على الحافة الترابية المائلة . صار الجنود يضربون عباس فاختلطت شتائمه بشتائم الجنود وصراخه بصراخهم ؛ ثم حضرت « سنيوره » (١) لتنقله الى الى حيث جرت العادة مع من هم على شاكلة عباس ، ثم صارت شتائم الجنود المبعثرة تشبه تساقط حبات البرد فوق سطح من الزينكو ، وساد الصمت جو الاجتماع غير المرغوب فيه .

حينما صحت ام احمد الموخوخة ـ كما اعتادت جاراتها ان يناديها ـ على مكبرات الصوت ، هرعت مسرعة لتتوضا وقد راعها كيف انها لاول مرة ، لا تصحو قبل آذان الفجر ، ولكن اللكنة الغريبة جعلتها تسترق السمع لتتاكد من ان هناك منعا للتجول قد بدا ، هزت راسها ثلاث مرات ثم وجهت نظرها الى فوق وبصقت ، ثم تدافعت الشتائم من فيها تلعن اليهود الذين فرضوا منع التجول واليهودي صاحب المصنع الذي يعمل زوجها عنده لانه لا يعطي زوجها اجره اولا باول ، ثم زوجها لانه ليس غنيا واباها الذي زوجها لرجل فقير ، واخيرا لعنت الله لانه مسؤول عن كل هذا ، فصحا ابو احمد وقال لها :

ـ يا فتاح يا عليم ، يا ولية صبحتي تسبي الله عالندى ، بدك تقطعي رزقي ؟؟ اي تفو على اللي كان واسطتك فانتهرته قائلة :

* طيب قلي هسه شو اعمل والبابور فش فيه كاز ؟ واندفع ابو احمد صارخا من الغرفة التي منحته اياها وكالة الغوث ، تناول وعاءا ومد يده في برميل ليمسح وجهه بقليل من الماء ، فضحكت ام احمد بأعلى صوتها لانه لا يوجد في البيت قطرة ماء ، فانتهرها الجندي من الخارج قائلا :

ـ شو بعمل ! ، وين جوزك يطلع بره ؟

ثم دفش بكوع بندقيته باب الدار الزينكو فسقط الباب مخلوعا على الارض فقهقه ابو احمد ثم شخص بعينيه ناحية السماء متسائلا

* برضيك هيك ؟

وحينما دفعه الجندي بكعب بندقيته وهو خارج اوصته ام احمد :

ـ خليك ساكت يا ابو احمد ، مبين الجماعة ميكلين ... على هالصبح ، خليك ساكت عشان تروح اليوم تقبض المعاش ، بكره فتوح المدارس ومجبناش اشي للولاد .

ولما انتصف النهار قهقه ابو احمد وهو قاعد في جلسته لان الوقت قد فات .

× × ×

تململ سمير حين دفعته امه ثم صحا من النوم وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيه ، فنهرته امه قائلة :

ـ هه بتضحك ، وبعد شوية بتجيني مسطول من الشمس وحين تردد صوت المكبرات ، تساءل سمير عما يحدث ، ولما عرف بان التجوال ممنوع وان عليه الخروج الى ساحة المدرسة ، شتم واكثر من الشتائم للاحتلال ، لانه كان من المفروض ان يلتقي اليوم بحبيبة قلبه ، لذلك سهر

معظم الليل وهو يحاول انتقاء كلمات تناسب لقاءه الاول معها ، لكن الريح لم تات كما اشتهت سفنه ، وحين غشاه النعاس وهو قاعد ، وسقطت راسه بين كتفيه ، نهره الجندي صارخا :

— تعال وله اخو ... ليش بنام ؟

× × ×

تململ ابو حسن المحمود فى قعدته واطفأ عقب سيجارة الريشة فى التراب الجاف ، ثم تنحنح ونظر الى ساعة يده التي ارسلها حسن من الكويت ، كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة ، معنى هذا ان ميعاد قعدته فى باحة الجامع — ان صح التعبير — قد حان ، وقد حان معه موعد الدعاء الى الله ان يرزق حسن طفلا ، فها هي السنة الثالثة تمر على زواج حسن ومع ذلك لم تنجب زوجته ، مع انها صغيرة السن وامها قبلها انجبت اكثر من عشرة بطون ، عرضتها ام حسن على كل الحجابين والحجابات ، لكن ... ووجد ابو الحسن اخيرا ان الدعاء فى وسط النهار فى شعبان قد ياتي بنتيجة . فتململ ابو حسن متأففا ، فصرخ به الجندي الذي كان يراقبه .

— تعال اخو ... مش عاجبك الوضع ؟

× × ×

صحيح ان غسان بلغ السادسة عشرة ، وصحيح انه حصل على هوية حسب تعاليم القانون ، الا انه ما زال يتصرف وكان عمره لم يتجاوز نصف عمره الحالي ، حينما سمع غسان الصوت صحا من النوم مسرعا ، يسترق السمع وكل ما يتمناه ان يكون الصوت لاخبار الناس بمنع التجول ، كي يتسنى له عمل سيارة من الاسلاك ، خاصة وان مدرسيه « الملاعين » يرهقونه هذه الايام بالواجبات الدراسية ، وبضرورة ان يخرج من المدرسة وهو متمتع بمعرفة ذات حجم معين ، لكن مزحه ما لبث ان تضاعف حين علم ان هناك جمعا للاشخاص من سن ١٦ فما فوق ، لان تلك تجربته الاولى ، وكم تمنى ان يمارس تجربته الاولى ، فكم من المرات حاول ان يغلق على نفسه البيت ويتناول آلة الحلاقة الخاصة بوالده كي يحلق ذقنه التي لم ينبت فيها سوى شعر خفيف ، فكانت الشفرة تتناول الجلدة ، وينزل الدم من وجهه ويهرع الى امه تضع على الجروح شيئا من البن لتمنع الدم من النزف ، ثم تعاتبه بقولها لابيه على مسمع منه .

— اجا اليوم اللي تحلق فيه لحيتك .

ولما يسالها عن السبب ، تضحك وتقول :

— حاكم لحية ابنك قريب تطلع ، والمثل بقول ، ان طلعت لحية ابنك احلق لحيتك .

وها هو غسان يعيش تجربته الاولى بعد حصوله على بطاقة هوية بالرغم من ان لحيته لم ينبت شعرها بعد ، صحيح ان غسان مزح اولها ، لكن الجلسة كانت على غير ما يرغب ، فالجنود مثل عرفاء الصف يطبقون الاوامر بنظام ورتابة قاسية ، فتذكر الاسلاك التي بقي يوما وهو يقومها كي تكون مسهلة لديه فى عمل سيارة ، وتخيل انه يعملها وانه يقضي كل وقته فى عملها ، وان امه رأته فغضبت ونهرته قائلة :

ولك يا كشيل قوم ادرس بلكي صرت دكتور ، بدل ما بتلعب مثل ولاد الصغار فى السلوك والعربيات .

فضحك من جهالتها ، فشاهده احد الجنود وانتهره قائلا :

* تعال وله ابن ... بتضحك علي ؟

× × ×

كان فواز قد عقد صفقته التجارية الاولى بعدما اصبح حائكا ممتازا ، وبعد أن « سوّد » وجهه كي يشتري بضع ماكنات للخياطة ويعمل فى بيته التجار الاسرائيليون من مشغلا بسيطا يحيك فيه ما يورده قطع ، ياخذ مبلغا بسيطا من الليرات مقابل ذلك تكفي لسد بعض احتياجات البيت ، صحيح لو ان فتاتين تعملان عنده غير امه واخته لما كان هذا المقابل يكفيه ، لكنه مرتاح جدا خصوصا من ذكاء امه واخته فى سرعة تعلمها لمهنة الحياكة ، وهكذا ففي خلال سنة استطاع ان يوفر ثمن سيارة تجر نفسها جرا ، دفع نصف ثمنها تقريبا مقابل تعلمه لقيادتها ، واجل حلم امه واخته فى ضرورة توفير طنجرة وثلاجة كهربائيتين وتلفزيون ريثما يتضاعف الانتاج ، وصفقته الاخيرة كانت بالضرورة تعني مضاعفة الانتاج لديه ، ولكنهم الان يحجزونه ، فتكدر منذ الصباح ، ولكنه عزّى نفسه بوجود السيارة ، وقرر ان يذهب لصاحب المصنع طالما ينتهي هذا الاجتماع غير المرغوب فيه ، وتنبه فواز لاعناق الرجال تلتوي للخلف ففعل مثلهم ، وراعه ما راى ، انهم يحطمون سيارته باكعاب بنادقهم ، فصرخ ، صرخ فى وجوه الواقفين امامه .

— لماذا يكسرون زجاج السيارة ؟ ولماذا تحشرونا لغاية الان ؟ ما السبب ؟ نحن لسنا عبيدكم ، لسنا عبيدكم ، وسرت بين القوم همهمة ، ووجه الجنود البنادق لتحميهم ، واعلن الضابط المسؤول عبر الميكرفون :

— كل واحد يروح لبيته ، بدون فوضى مفهوم ... كل واحد يروح لبيته ، بدون فوضى مفهوم ... كل واحد ...

× × ×

وغاب صوته فى الضجة ، وبقيت كلمات عباس ترن فى الآذان وهم يهتفون :

يما مويل الهوى يما موليا
ضرب الخناجر ولا حكم النذل فيا

(الضفة الغربية المحتلة)

---

١ — سنيوره لقب اطلقه سكان مخيم بلاطة على سيارة اللاند روفر الاسرائيلية ايام حوادث « يوم الارض » .

طهارة السلاح ـ بقية

قتل أربعة أسرى فى جنوب لبنان وهو برتبة ضابط فى الجيش الاسرائيلى ..

بيد أنه لا يجوز كسر الاعراف فى اسرائيل، لذا فقد سارع رئيس الاركان الحالى (بطل يوم الارض !!) وخفف الحكم على مجرم الحرب المذكور الى حد مهين للدم البشرى وللحضارة البشرية ..

ولم نكن وحدنا من أحس بالاهانة ، فمن الطبيعى أن يشاركنا هذا الاحساس كل يهودى فى هذه البلاد يعز عليه أن تهدر القيم الانسانية بلا هوادة ..

وكانت الضجة .. وكانت كذلك عمليات الردم الهائلة التى استهدفت اخماد هذه الضجة ..

نحن ، كشيوعيين ، كفلسطينيين ، كعرب، كيهود دمقراطيين ، يحق لنا مقارعة حكام ألمانيا الغربية اذا هم أبدوا تساهلا ما مع مجرمى الحرب العالمية الثانية .. ولكن لا بد من السؤال : ما معنى موقف أولئك الذين يرعدون ويبرقون ضد اجراءات التساهل مع مجرمى الحرب فى ألمانيا الغربية ، وفى الوقت نفسه ، يدافعون باستماتة شرسة عن تصرف الجنرال الاعظم ليتان ؟

ولا بد من طرح سؤال آخر : هل طهارة السلاح تعنى الشىء نفسه فى كل لغات العالم ؟!؟!

« الجديد »

هاهو الربيع فتعالى
بتنزهى فى الغابة الجميلة
الدجاج يصيح فى الفناء
والفجر يصنع طيات وردية فى السماء
والحب يسعى لغزوك ..
« مارس » و « فينوس » عادا من جديد
كلاهما يشبع الاخر لثما وتقبيلا
وأمامهما مناظر بريئة
حيث آلهة حسان
ترقص تحت الورود ..

* ابولليني *